الأخبار
al-akhbar

السبت 9 أيار 2026
العدد 5774 السنة العشرون
Samedi 9 Mai 2026 no 5774 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

ج.م.كوتزي
اكتشف (حقيقة) إسرائيل

سلطة الوصاية تواصل التنازل: سنفاوض تحت النار!

المقاومة تردّ: قواعد الاشتباك تغيرت

3-2

أميركا - إيران
مفاوضات «الفرصة الأخيرة»

10 - 13

(أ ف ب)

الحرب الكونية ضد المقاومة

تنسيق أميركي – إسرائيلي من «مشروع الحرية» إلى غارة الضاحية

إيران والمقاومة: مستعدون لجولة قتال في أي وقت

إبراهيم الأمين

في ظل التصاعد التدريجي للمواجهات في لبنان أو إيران، يتكثف العمل على الجبهة السياسية من أجل بناء وضعية جديدة لكل المفاوضين. فبعد إعلان وقف إطلاق النار وتمديده بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وبين إيران من جهة ثانية، لم يظهر أن أي من الطرفين نجح في فرض معادلاته على الطرف الآخر. بل على العكس، فإن كل ما جرى تبادله من أوراق، عكس حالاً من الجمود، التي دفعت بالولايات المتحدة إلى البحث عن مخارج في الميدان. لكن اللافت، أن العملية التي أطلق عليها الأميركيون اسم «مشروع الحرية» بقصد سحب ورقة مضيق هرمز من

التبدل في موقف عون سببه عدم وجود اي تنازل إسرائيلي او اميركي، وبري يركز على وقف الحرب كاساس لكل ما يلي، بينما يهرب سلام من الملف لانه «مشغول بالعلاقات مع سوريا»

يد المفاوض الإيراني، لم تكن كافية لإحداث أي خرق في المفاوضات. بل على العكس، فإن الساعات الأولى من التصعيد الذي قادته الولايات المتحدة خلق حالاً من الذعر في الدول العربية الموجودة على الضفة الغربية من الخليج، مع زيادة في المخاوف من أن أي احتكاك أميركي – إيراني على خلفية الملاحة، سوف يؤدي إلى إغلاق تام لموانئ هذه الدول، ولن يقتصر الأمر على تجميد نقل النفط. حتى وصل الأمر بالجانب السعودي إلى الحديث مباشرة مع الأميركيين ومع الباكستانيين، والإيرانيين، من أجل عدم الذهاب إلى مواجهة على خلفية الخطوة الأميركية. وقد جاءت الخطوة السعودية، ربطاً بتقديرات موجودة لديها، من أن إيران تنوي تدمير كل مشاريع الطاقة الخاصة بالنفط والغاز في كل دول المنطقة في حال تعرض منشآتها للضرب من جانب أميركي، وأن أي محاولة أميركية لضرب وسائط النقل الخاصة بالمرافئ الإيرانية سوف ترد عليها إيران بتدمير وسائط النقل الخاصة بالمرافئ الأخرى، وبالشراكات الدولية للشحن. لكن لماذا لجأت الولايات المتحدة إلى التصعيد، ثم بادر العدو إلى مصاحبتها بعد يومين في لبنان؟ القصة بدأت أواخر الأسبوع الماضي، حين تبلغت الولايات المتحدة أن إيران ليست بوارد تقديم تنازلات في ملف المفاوضات. وأن موقفها من الملف النووي لن يكون مختلفاً عما كان يمكن التوصل إليه في آخر اجتماع قبل بدء الحرب عليها في 28 شباط. والحقيقة، أن إيران، قالت إنها مستعدة للتعامل بمرونة لكنها لن تقبل التوقيع على أي ورقة تلزمها بوقف البرنامج النووي، خصوصاً وأنها قالت دائماً إنه برنامج سلمي.

لكن النقطة الثانية التي لا تقل أهمية، تتعلق بأن إيران، طالبت الولايات المتحدة بأن تبادر إلى إعلان كامل لنهاية الحرب. وهي خطوة لها مستلزماتها ولها أدواتها وآلياتها وتقوم على أمرين: الأول: إعلان رسمي أميركي ملزم لإسرائيل بأن العمليات العسكرية سوف تتوقف بصورة مطلقة في إيران ولبنان والعراق معاً، وفي وقت واحد، وبصورة غير قابلة للخرق.

الثاني: لجوء الولايات المتحدة وإسرائيل إلى خطوات تثبت هذا الأمر عبر انسحاب القوات الأميركية من البحر المحيط من إيران، وانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي من لبنان.

طبعاً، فهم الأميركيون بأن هذا الأمر، يعد بالنسبة إلى إيران فاتحة وحيدة لأي اتفاق آخر، وأن معالجة أزمة مضيق هرمز، سوف يتم علاجها تلقائياً، كون وقف الحرب وانسحاب القوات الأميركية سيترجم وقفاً للحصار البحري على إيران، مقابل أن تسمح إيران لجميع السفن بالعبور الآمن من المضيق، على أن يترك لإيران بالتنسيق مع سلطة عمان، إيجاد الآلية المناسبة لإدارة المضيق بالتفاهم مع الدول المستفيدة منه.

في هذه النقطة، لا يبدو أن أميركا مستعدة الآن للقبول بمطالب إيران، وهي تجد أن إيران ليست في موقع من يفرض الشروط. ولأجل تحويل هذا المنطق إلى واقع، لجأ الأميركيون إلى «مشروع الحرية» في الخليج، ضمن مسار يتعلق بتصعيد إضافي ضد القوات البحرية الإيرانية في الخليج، بالتزامن مع تصعيد إسرائيلي في لبنان. وقد انطلقت العمليات كلها من صباح الإثنين، حيث باشر الأميركيون عملية فتح المضيق عبر ممر ضيق قريب من الحدود مع سلطنة عمان، فردت إيران بتوجيه ضربات وتهديدات أدت خلال ساعات إلى امتناع غالبية شركات الشحن عن الالتزام بالدعوة الأميركية. وهو ما ترجم لاحقاً باستنفار غير مسبوق على الأرض. وجاءت الاتصالات السعودية – الباكستانية لتجعل ترامب يعيد النظر، خصوصاً بعد الضربات الموضعية التي وجهت إلى دولة الإمارات والتي أدت خلال ساعات إلى إفراغ ميناء الفجيرة من كل وجود مدني أو عسكري وإلى ابتعاد السفن الراسية فيه إلى مسافات في عمق الخليج. وخلال يومين، عمد الأميركيون إلى الاختبار بالنار مجدداً، عبر عملية سطو على ناقلة إيرانية بقوة النار، فردت إيران بإطلاق النار على المدمرات الأميركية التي ردت بالمثل قبل أن يقرر ترامب وقف ما سماه «المناوشات» وإعلان التمسك بالهدنة.

من جانب إسرائيل، كانت تنتظر دورها في التصعيد، فعمدت إلى تنفيذ عملية الاغتيال يوم الأربعاء، وأرفقتها بجولة تصعيد كلامي هي الأحب إلى قلب بنيامين نتنياهو وفريقه السياسي والعسكري، وهو ما جعل السؤال قائماً حول طريقة رد فعل حزب الله على الخطوة. وسط رهانات كبيرة في لبنان وأميركا وإسرائيل، بأن الحزب سوف يتجنب الرد حتى لا يفتح الباب لإسرائيل أمام رد أكبر، وأمام إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الإعلان عن الهدنة الأولى.

عملياً، بدا أن إيران وحزب الله قد تناقشا في ما يجري أميركياً وإسرائيلياً، وكان القرار واحداً بأنه لا يمكن السكوت عن «التحرش» القائم. وبعدما قامت إيران بتجميد الاتصالات السياسية والرد في الميدان، قرر حزب الله مغادرة مربع المواجهات القائمة منذ إعلان الهدنة، وأطلق دفعة صاروخية توعية باتجاه مواقع جديدة في شمال فلسطين المحتلة، معلناً بأنه مستعد لتحمل المسؤولية، مع ما يعني ذلك، من استعداده لعودة القتال إلى أعلى مستوى.

ويبدو واضحاً أن قراءة إيران وحزب الله لهذا التصعيد، بأنه يهدف في الدرجة الأولى، إلى جسّ نبض إيران والحزب من أجل فهم ما إذا كانا سوف يقدمان على تنازلات في الملف التفاوضي، وبينما قالت إيران إنها لن تغير في أدوات عملها في الخليج، كانت المقاومة تعطي العدو إشارة واضحة إلى أنها مستعدة لجولة جديدة من الحرب الواسعة، وتستند المقاومة هنا، إلى أنها في وضع ميداني مريح، فلا مشكلة لديها في العتاد ولا بالعديد، وأن الوقائع الجارية على الأرض تشير بوضوح إلى أن العدو لم يعد مستقراً في أي نقطة في الأراضي المحتلة، حتى أنه لم يعد يقدر على نشر جرافاته للتدمير كما جرى في المدة الأولى، نتيجة انتشار المخلفات الانقضاضية التي تجوب الجنوب بحثاً عن الجنود وعن الآليات وتحديداً بحثاً عن الجرافات والعاملين في أعمال التدمير والتجريف.

وإذا كانت المقاومة توضح لأهل السلطة في بيروت بأنها ليست معنية بكل المفاوضات الجارية، ولا بنتائجها، فهي لمست التغيير الجدي في موقف أركان السلطة، ليس لجهة تنازلهم عن موقفهم المعادي لها، ولا عن رغبتهم وليس استعدادهم للتفاوض المباشر، بل لجهة أنهم أقروا بفشل كل محاولاتهم الحصول على أي خطوة مفيدة من الجانب الأميركي، وهو ما انعكس تراجعاً في موقف رئيس الجمهورية جوزيف عون من مسألتي الدور الإيراني ومستقبل سلاح المقاومة، بينما كان رئيس الحكومة نواف سلام يكرر لازمة «أن الملف كله عند رئيس الجمهورية» وأنه يركز اليوم على ملف العلاقات اللبنانية – السورية، وأنه لا يمانع ما يراه عون مناسباً. فيما كان الرئيس نبيه بري يذكر عون وسلام والجهات الخارجية، بأنه لا جدوى من أي خطوة ما لم تلزم الولايات المتحدة إسرائيل بوقف فعلي وشامل لإطلاق النار.

عملياً، يبدو الجميع الآن، أمام ساعات أو أيام من الانتظار، وهو انتظار يتعلق بمستقبل الوساطة الباكستانية التي تقترب من لحظة مفصلية، وفي حال قرر الرئيس الأميركي التصرف بواقعية وفقاً لنتائج المواجهة الجارية، فإن التحدي الأكبر أمامه، إيرانياً ولبنانياً، هو كيفية إلزام إسرائيل بالتراجع، والموافقة على أنه لكل قوة حدودها..!

اضرار خلّفها العدوان الإسرائيلي على الضاحية الجنوبية لبيروت (حروان بو حيدر)

السلطة تستسلم للعدو: نقبل التفاوض تحت النار

في لحظة إقليمية شديدة التعقيد، تتقاطع فيها المفاوضات الدولية مع نيران الميدان، يدخل لبنان جولة جديدة من التفاوض مع إسرائيل فيما الجنوب لا يزال مفتوحاً على احتمالات الانفجار في أي لحظة، وسط تصعيد إسرائيلي في الجنوب وصولاً إلى الضاحية الجنوبية لبيروت، في مشهد يعكس بوضوح سقوط كل العناوين التي يجري تسويقها تحت شعار «تثبيت وقف إطلاق النار». ما يقود عملياً، إلى القناعة بأن السلطة ستذهب إلى مفاوضات تحت النار، أي وفق ما تريده إسرائيل. ولا تظهر السلطة مطلقاً أنها في موقع الدولة القادرة على فرض شروطها أو حماية سيادتها، وهي انتقلت إلى موقع الساعي إلى شراء الوقت بأقل الخسائر الممكنة، مع مواصلة الرهان على دور أميركي للجم إسرائيل.

في هذا السياق، أكد رئيس الحكومة نواف سلام أن «الحكومة تسعى جدياً إلى تثبيت الدولة كمرجعية وحيدة في أي مسار تفاوضي مقبل مع إسرائيل، عبر المؤسسات الدستورية الرسمية»، مشدداً على أن «الأولوية الحالية تتمثل في منع انهيار وقف إطلاق النار قبل الانتقال إلى أي مفاوضات جديدة» وقد تجاهل سلام أنه لا وجود لأي وقف لإطلاق النار على الأرض. وقال سلام لقناة «الجزيرة» إن «لبنان يتعامل مع المفاوضات باعتبارها مساراً متكاملاً لا يقتصر على التهدئة العسكرية، بل يشمل وقف الاعتداءات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية، وإطلاق الأسرى اللبنانيين، ووضع جدول زمني واضح للانسحاب الإسرائيلي، وتأمين عودة النازحين إلى القرى الحدودية بما يسمح بإطلاق مرحلة إعادة الإعمار ومعالجة التداعيات الإنسانية والاقتصادية للحرب الأخيرة».

وكرر سلام ما قاله قبله الرئيس جوزيف عون من أن لبنان يسعى إلى «الحصول على ضمانات أميركية ودولية تساعد لبنان على استعادة سيادته الكاملة على أراضيه، بالتوازي مع اتصالات إقليمية ودولية تهدف إلى منع توسع الحرب وإعادة ضبط قواعد الاشتباك على الحدود الجنوبية»، وقالت مصادر مطلعة إن «كلام رئيس الحكومة، وربط المفاوضات بشروط لبنانية، سببه العوامل نفسها التي دفعت عون إلى التراجع خطوة إلى الوراء، وأهمها الموقف العربي الداعي إلى التريث وعدم الاستعجال وتقديم أثمان لنتنياهو أكثر مما هو مطلوب».

عون ناقش جدول اعمال الجلسة المقبلة من المفاوضات المباشرة مع كرم

من جانبه، التقى عون أمس السفير السابق سيمون كرم، لمناقشة جدول أعمال الجلسة المقبلة من المفاوضات، كما تلقى اتصالاً من مستشار الأمن القومي البريطاني جوناثان باول الذي سمع مطلب الأعمال العسكرية كافة، تمهيداً لإطلاق مفاوضات تنهي الوضع المتفجر في الجنوب، بما يسمح بإعادة انتشار الجيش اللبناني حتى الحدود الدولية، والإفراج عن الأسرى اللبنانيين، وعودة النازحين إلى قراهم وبلداتهم». وخلال لقاءاته مع مسؤولين أوروبيين وأمميين، قال عون إن هناك «ضرورة ممارسة ضغط دولي فعلي لإلزام إسرائيل بوقف إطلاق النار»، ووقف استهداف المدنيين والطواقم الطبية والإعلاميين والدفاع المدني»، معتبراً أن «إسرائيل تتصرف خارج كل القوانين والأعراف الدولية، وناشد المجتمع الدولي بتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة في ظل الخسائر البشرية الكبيرة وتزايد حاجة النازحين».

في الوقت نفسه، رفعت واشنطن وتل أبيب منسوب الضغوط السياسية والإعلامية على المقاومة، وكرر وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو قوله إن «حزب الله يشكل تهديداً لإسرائيل ولبنان على حد سواء، وإن الولايات المتحدة لن تتفاوض مع الحزب بل مع الحكومة اللبنانية»، ومشدداً على «ضرورة تمكين الدولة اللبنانية من بسط سيادتها الكاملة».

(الأخبار)

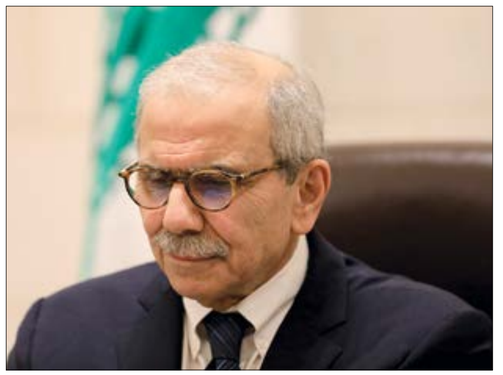

(هيثم الموسوي)

المقاومة تُعيد تشكيل المعركة: «التوسيع بالتوسيع»

تكشف الوقائع الميدانية المتسارعة على الجبهة اللبنانية تحوّلاً نوعياً في طبيعة المواجهة، إذ لم تعد المعركة تُقاس بحجم القصف المتبادل فقط، وإنما بقدرة المقاومة على فرض وإيقاع استنزاف طويل الأمد وتفكيك استقرار العدو العملياتي أيضاً.

وفي مقابل هذا التصاعد، تعكس النقاشات على منابر الإعلام وداخل المؤسسة العسكرية والأمنية في إسرائيل، مستوى متقدماً من القلق حيال عجز جيشها عن احتواء هذا النمط القتالي، خصوصاً مع الإقرار بامتلاك المقاومة منظومة تشغيل مُسيّرات مرنة وموزعة قادرة على الحفاظ على وتيرة الهجمات، رغم عمليات القصف والتدمير.

هذا المشهد لا يقتصر على البعد العسكري المباشر، بل يتصل أيضاً بإعادة تثبيت معادلة ترابط الساحات التي حاولت تل أبيب وواشنطن احتواءها. وفي هذا السياق، تشير التقديرات الإسرائيلية نفسها إلى أن حزب الله لا يتعامل مع المواجهة بوصفها جبهة حدودية معزولة، بل كجزء من صراع إقليمي مفتوح تتداخل فيه الحسابات اللبنانية والإيرانية والإسرائيلية في آن واحد.

في هذا الصدد، اعتبر مراسل ومحلل الشؤون العسكرية في صحيفة «معاريف» العبرية، آفي اشكنازي، أن أحد أبرز الإخفاقات في إدارة الحرب من قبل المستوى السياسي الإسرائيلي تمثّل في السماح للولايات المتحدة بربط وقف إطلاق النار مع إيران بالجبهة اللبنانية، معتبراً أن هذا الربط منح طهران «الجائزة الكبرى» ورسّخ معادلة تداخل الساحات. وفي معرض حديثه عن العمليات الميدانية، لفت اشكنازي إلى أن تدمير الجسور فوق نهر الليطاني لم يحقق الغاية المرجوة، ناقلاً عن مسؤولين عسكريين قولهم إن انخفاض مستوى المياه يسمح بعبور المقاتلين من دون الحاجة إلى الجسور، ما يبقي خطوط الإمداد مفتوحة أمام حزب الله. ورأى أن إسرائيل تخوض حالياً معركة دفاعية محدودة في لبنان من دون مبادرة هجومية حقيقية، محذراً من أن هذا النمط يرفع احتمالات تلقي الضربات، على حد تعبيره.

وتتزايد في إسرائيل المؤشرات على عمق المأزق الميداني الذي تواجهه قواتها في جنوب لبنان، مع تصاعد فعالية الطائرات المسيّرة الهجومية التي يعتمدها حزب الله، وتحولها إلى عامل استنزاف يومي يفرض تعديلات متلاحقة على انتشار الجيش وخططه العملياتية.

لم تعد المعركة تُقاس بحجم القصف المتبادل فقط وإنما بقدرة المقاومة على فرض إيقاع استنزاف طويل الأمد

وفي هذا السياق، قالت «القناة 12» العبرية إن التقديرات الأمنية الإسرائيلية تشير إلى أن حزب الله يدير في جنوب لبنان منظومة متخصصة بتشغيل الطائرات المسيّرة تضم نحو مئة عنصر، يعملون ضمن خلايا صغيرة وموزعة، بعيداً عن التشكيلات الكبيرة التقليدية. وبحسب التقديرات نفسها، أطلقت هذه المنظومة حتى الآن نحو 160 مسيّرة باتجاه قوات الاحتلال، كان نحو 90 منها موصولاً بأسلاك ألياف بصرية تربطها مباشرة بالمشغّلين. في ضوء ذلك، تتواصل «الحوادث الأمنية» على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة، مع تصاعد استخدام الطائرات المسيّرة الهجومية، إذ أفادت وسائل إعلام إسرائيلية بوقوع حادثين منفصلين صباح أمس، أحدهما في مستوطنة شلومي والآخر في منطقة رأس الناقورة بالجليل الغربي، ما أدى إلى وقوع إصابات في صفوف العسكريين. وفي التفاصيل، تحدّثت وسائل إعلام إسرائيلية عن انفجار أعقبه تصاعد للدخان في مستوطنة شلومي، قبل أن تؤكد أن طائرة مسيّرة استهدفت هدفاً داخل المستوطنة. وفي حادثة ثانية، أشارت التقارير إلى انفجار محلّقة مفخخة في منطقة رأس الناقورة.

وبحسب إذاعة جيش العدو، أُصيب جنديان بجروح خطيرة ومتوسطة إثر إصابة مباشرة من طائرة مسيّرة مفخخة في رأس الناقورة قرب الحدود اللبنانية، فيما أُصيب جنديٌ آخر بجروح متوسطة في هجوم ثانٍ بواسطة مسيّرات انفجرت قرب قوة إسرائيلية داخل جنوب لبنان. وعلّق مراسل «القناة 15» العبرية على الحادثتين بالقول إن حزب الله «عاد ليضرب بواسطة محلّقة مفخخة داخل الأراضي الإسرائيلية ويوقع جرحى في صفوف الجيش الإسرائيلي»، في إشارة إلى تنامي فعالية المسيّرات الهجومية في استهداف القوات الإسرائيلية ومواقعها الحدودية.

بالتوازي، ورداً على استهداف ضاحية بيروت الجنوبية، وتثبيتاً لمعادلة «التوسع بالتوسيع»، ضربت المقاومة قاعدة شراغا (المقرّ الإداريّ لقيادة لواء غولاني وتموضع قوة إيغوز) جنوب مستوطنة نهاريا بصلية من الصواريخ النوعيّة. وعقب عملية الإطلاق مباشرة، دوّت صفارات الإنذار في نطاق واسع من الجليل الغربي، إذ أفادت وسائل إعلام إسرائيلية بسماع الإنذارات في نهاريا ومحيطها، قبل أن تمتد إلى عكا ومنطقة الكريوت شمال حيفا، في مؤشر إلى اتساع رقعة الاستنفار الأمني والعسكري في الشمال.

(الأخبار)

البخاري من السفارة إلى المطاعم!

منذ تسلّم الموفد السعودي، الأمير يزيد بن فرحان، مهامه في بيروت، وهو يُحاول توسيع نفوذه. وقد نجح في الفترة الماضية في تقييد حركة السفير السعودي السابق وليد البخاري، وتقليص صلاحياته. وهو ما بدا واضحاً في تقليل البخاري من لقاءاته مع الشخصيات السياسية، التي باتت تنحصر بمرافقة ابن فرحان في جولاته أو بما يطلبه منه. وتعزز بعض الأطراف الخلّاف داخل البيت السعودي الواحد إلى تحسّس ابن فرحان، ومن خلفه المسؤولين في الديوان الملكي، من الشخصيات القريبة من الموفد السعودي السابق نزار العلولا. ولأن البخاري كان يُعدُّ من المحسوبين على العلولا، أطاحت به التغييرات الأخيرة، التي أسفرت عن تعيين فهد الدوسري (مقرّب من ابن فرحان) خليفةً له. وتردّد أن غضب ابن فرحان من السفير السابق، أدّى إلى منعه من القيام بجولة وداعية في لبنان.

في المقابل، يشير مقرّبون من السفارة في بيروت إلى أن استبدال البخاري بالدوسري مرتبط أكثر بشخصية الرجلين، كما الأدوار المطلوبة منهما، خصوصاً بعد التحوّلات الإقليمية وبروز «محور سنّي» تقوده السعودية وباكستان. وعليه، فإن الدوسري الذي يُعدُّ شخصية هادئة بـ«بروفيل أبيض»، قادرٌ على نسج علاقات سعودية في لبنان أكثر من البخاري. كما أن السفير الجديد قادر على التعبير عن سياسة الانفتاح على طهران التي باتت تنتهجها الرياض، خلافاً للبخاري الذي لا تؤهّله مواقفه السابقة، وحصر علاقاته بـ«شارع واحد»، للقيام بذلك.

وتشير مصادر معنيّة إلى أن البخاري لم يتقبّل هذا التغيير، خصوصاً أن المنصب الدبلوماسي الذي عُرض عليه يُعدُّ أدنى بدرجات من المنصب الذي كان يشغله في لبنان، ما يعني أنّه أشبه بـ«نقل عقابي». ولذا، قام بتقديم استقالته من السلك الدبلوماسي. غير أن المُستغرب أن الرجل ينكبّ اليوم على افتتاح سلسلة مطاعم في لبنان، مُحاولاً استغلال الـ«PR» الذي كان غنيمته من ولايةٍ استمرّت أكثر من ثماني سنوات في بيروت، على أمل تحويل معارفه إلى زبائن أسخياء، في مطاعمه، بعدما كان يستقبلهم على قهوة عربية في مقر السفارة ومكان إقامته!

وإذ يرى البخاري أن عمله الجديد سيدرُّ عليه الأرباح المالية أكثر من الدبلوماسية، فإنّه يُبرّر مشروعه الجديد للمقرّبين منه بأنه يهدف إلى تأمين السبل لبقائه في لبنان، بعدما «تعلّق بالبلد»!

(الأخبار)

الحرب الكونية ضد المقاومة

30 يوماً على «الأربعاء الأسود»: لا يوجد مكان آمن من القصف

مرّ شهر كامل على مجازر 8 نيسان التي لم تتحوّل إلى حدثٍ يُستعاد في الذاكرة، بل إلى زمن مفتوح يُعاش يومياً. الغارات لم تتوقّف، والقرى لا تزال تنام على صوت المُسيّرات وتستيقظ على أخبار الاستهدافات، والناجون يواصلون الحفر في الركام بحثاً عن مفقودين أو عن أثر لحياة كانت موجودة هنا قبل أن تبتلعها النار

الدمار في مجمع السيد الزهراء في صيدا بعد الغارات يوم «الأربعاء الأسود» (عروات بو حيدر)

دولة حيدر أحمد

يوم الأربعاء الواقع فيه 8 نيسان، أو ما بات يُعرف بـ«الأربعاء الأسود»، كانت السماء تُفتح على واحدة من أعنف موجات القصف في السنوات الأخيرة. خلال أقلّ من عشر دقائق، نفّذ الطيران المعادي 160 غارة متزامنة، في مشهد لا يشبهه حرباً تقليدية بقدر ما يبدو كأنّه عملية مسح ناري واسعة أعادت رسم الجغرافيا اللبنانية بالدخان والركام والأجساد العالقة تحت الأنقاض. بحسب أرقام وزارة الصحة، بلغت الحصيلة النهائية لضحايا اليوم الأسود 360 شهيداً وما يزيد عن 1200 جريح، ليكون هذا اليوم أحد أكثر الأيام دموية في الحروب التي شهدها لبنان.

وإلى جانب الأرقام الصمّاء، بقيت عشرات الجثامين مجهولة الهوية، فيما عُلّقت عشرات العائلات بين الأزقة الضيقة والمباني المتلاصقة والعائلات التي تعيش أصلاً على حافة النجاة. هناك، لم يكن الموت حدثاً سريعاً ينتهي بانتهاء الغارة، بل كان مساراً طويلاً من البحث والانتظار وانتشال الأشلاء.

في حيّ السلم، إحدى أكثر المناطق كثافة في الضاحية الجنوبية، وقعت أحد عشر مجزرة دموية. خلال لحظات، تحوّلت «منطقة اللجوء» إلى مسرح قتل جماعي. من بين الضحايا أطفال وعائلات نازحة وأطباء ومتطوّعون، فيما عُثر في موقع المجزرة على أكياس أشلاء، في مشهد اختصر انهيار فكرة «الملاذ الآمن» نفسها.

وفي بيروت، حملت عين المريسة واحدة من أكثر صور الفقدان قسوة. هناك، ارتقى نحو 30 شهيداً ومفقوداً، لكنّ المأساة لم تنتهِ بانتهاء الغارة، بل بدأت بعدها. عائلات أمضت أياماً كاملة تنتظر خبراً عن أبنائها، فيما كانت فرق الإنقاذ ترفع الركام طبقة بعد أخرى. بعض الأشلاء لم يُعرف أصحابها إلا عبر فحوص الحمض النووي، فيما بقيت جثامين أخرى تحت الأنقاض رغم إعلان انتهاء عمليات البحث أكثر من مرة.

من بين تلك القصص، بقيت الشهيدة زهراء عبود مفقودة عشرة أيام كاملة بعد ضربة عين المريسة. عائلتها تنقّلت بين المستشفيات والمشارح وأسماء الناجين، قبل أن يتضح لاحقاً أن جزءاً من جسدها بقي تحت الركام، فيما جرى التعرّف إلى الجزء الآخر عبر فحص الحمض النووي في المستشفى. وفي المبنى نفسه، بقي جثمان الشهيد علي سرور مفقوداً كاملاً أصلاً بسبب تفتّت الأجساد واختلاط الأشلاء.

وفي الشويفات وكيفون، سقط نحو 32 شهيداً في كل منطقة، لكنّ قسوة المجزرتين لم تكن في العدد وحده، بل في طبيعة المكان المُستهدف. المنطقتان كانتا تُعاملان بوصفهما ملاذاً للنازحين الهاربين من الجنوب والضاحية، قبل أن تتحوّلا إلى امتداد مباشر للحرب نفسها.

في كيفون تحديداً، استُهدفت صيدلية خيرية كانت توزّع الأدوية مجاناً للنازحين، إلى جانب مبان تؤوي عائلات لجأت إلى الجبل بحثاً عن الأمان. خلال لحظات، تحوّلت «منطقة اللجوء» إلى مسرح قتل جماعي. من بين الضحايا أطفال وعائلات نازحة وأطباء ومتطوّعون، فيما عُثر في موقع المجزرة على أكياس أشلاء، في مشهد اختصر انهيار فكرة «الملاذ الآمن» نفسها.

وفي بيروت، حملت عين المريسة واحدة من أكثر صور الفقدان قسوة. هناك، ارتقى نحو 30 شهيداً ومفقوداً، لكنّ المأساة لم تنتهِ بانتهاء الغارة، بل بدأت بعدها. عائلات أمضت أياماً كاملة تنتظر خبراً عن أبنائها، فيما كانت فرق الإنقاذ ترفع الركام طبقة بعد أخرى. بعض الأشلاء لم يُعرف أصحابها إلا عبر فحوص الحمض النووي، فيما بقيت جثامين أخرى تحت الأنقاض رغم إعلان انتهاء عمليات البحث أكثر من مرة.

من بين تلك القصص، بقيت الشهيدة زهراء عبود مفقودة عشرة أيام كاملة بعد ضربة عين المريسة. عائلتها تنقّلت بين المستشفيات والمشارح وأسماء الناجين، قبل أن يتضح لاحقاً أن جزءاً من جسدها بقي تحت الركام، فيما جرى التعرّف إلى الجزء الآخر عبر فحص الحمض النووي في المستشفى. وفي المبنى نفسه، بقي جثمان الشهيد علي سرور مفقوداً كاملاً أصلاً بسبب تفتّت الأجساد واختلاط الأشلاء.

وفي الشويفات وكيفون، سقط نحو 32 شهيداً في كل منطقة، لكنّ قسوة المجزرتين لم تكن في العدد وحده، بل في طبيعة المكان المُستهدف. المنطقتان كانتا تُعاملان بوصفهما ملاذاً للنازحين الهاربين من الجنوب والضاحية، قبل أن تتحوّلا إلى امتداد للطابق الخامس واستقرّ قرب غرفة الناطور.

وفي كورنيش المزرعة، حيث سقط سبعة شهداء و43 جريحاً، تحوّل حيّ مكتظّ بالنازحين والعمال والعائلات إلى مساحة من الزجاج المحطّم والركام. أمّا المنارة فسقط فيها خمسة شهداء، وفي بئر حسن – الرحاب ثمانية شهداء آخرين. جنوباً، دفعت حارة صيدا ثمناً ثقيلاً مع ستة شهداء و25 جريحاً في استهداف مجمّع السيدة الزهراء، فيما توزّعت الخسائر على صور – الحسبة، جويا

> **في حيّ السلم، إحدى أكثر المناطق كثافة في الضاحية الجنوبية، وقعت واحدة من أكثر المجازر دموية**

وعدلون، حيث سقط ثلاثة شهداء في كل منطقة، إلى جانب إصابات ودمار واسع في الأحياء السكنية.

وفي البقاع، امتدّ المشهد الدموي من الهرمل إلى دورس وسهل طاريا. أربعة شهداء سقطوا في الهرمل، وثلاثة في سهل طاريا، فيما شهدت دورس سقوط 6 شهداء و16 جريحاً، في استهدافات لم تفرّق بين منطقة سكنية وأخرى زراعية، ولا بين مركز إسعاف ومحيطه المدني.

الجنوب: كل يوم هو 8 نيسان

في الجنوب تحديداً، لا تُقاس التضحيات بعدد الشهداء فقط، بل بالإحساس الدائم بأن الحياة نفسها باتت مؤقّتة. أطفال ينامون بملابسهم تحسّباً للهروب، نساء يجهّزن حقائب الطوارئ كل ليلة، ورجال يعودون إلى بيوتهم المُتصدّعة فقط لانتشال أوراق أو صور أو بعض الذاكرة.

وعلى الرغم من التفاوت في تسليط الضوء الإعلامي على الضربات بين بيروت والجنوب، يبقى الألم واحداً. الجنوب، الذي عاش المجزرة بعيداً عن العدسات، يستمر اليوم في تلقّي القصف حتى بعد انحسار الاهتمام، كأنّ الحرب هناك لا تحتاج إلى إعلان كي تستمر. وهنا، لم يعد السؤال: متى انتهى 8 نيسان؟ بل: كيف يمكن العيش داخل يوم لا ينتهي أصلاً؟

30 يوماً مرّت على المذبحة، ولا يزال الجنوب يعيش تحت إيقاع ذلك اليوم الذي لم ينتهِ. ما يتبدّل ليس المشهد بل حدّة الألم، فيما تبقى القرى عالقة بين غارات تتجدّد وضغط لا يهدأ، يطاول قلب القرى نفسه: ساحاتها، بيوتها القديمة، ومعالمها التراثية والأثرية التي تختزن ذاكرة المكان وهويته. وكأنّ الفعل لم يعد مجرّد قصف جغرافي، بل أضحى مسّاً مباشراً ببنية القرية الرمزية، حيث تُستهدف مراكز التجمّع والحياة اليومية، تماماً كما يُستهدف القلب في الجسد.

بهذا المعنى، لا تبدو القرى مجرّد مساحات على الخريطة، بل كيانات تُستنزف من داخلها، تُضرب ذاكرتها قبل عمرانها، وتُفكّك صورتها قبل جدرانها، في محاولة لإعادة تعريف معنى المكان ذاته تحت النار المستمرة. في صيدا وصور والنبطية والقرى الحدودية، يتكرّر المشهد نفسه: منازل مُهدّمة، مساحات تُنسف، عائلات تنزح ثم تعود ثم تنزح مجدّداً، وبيوت تُترك مفتوحة على احتمالات القصف في أي لحظة. حتى الهدنة الإقليمية التي أُعلنت يوم المجازر بدت كأنها تعيد إنتاج الاستثناء اللبناني بدل أن توقف النار.

«500 وديعة» تنتظر مثواها الأخير

صفاء صلاك

رغم الهدنة المزعومة، تواصل آلة القتل الإسرائيلية وحشيتها، ويستمر عدّاد الشهداء في الارتفاع، بينما يواصل العدو احتلال أكثر من 55 قرية جنوبية، في إطار ما يسمّيه «الخط الأصفر»، قاطعاً الطريق على أهالي الشهداء، من المقاومين والمدنيين، للوصول إلى قراهم وإكرام موتاهم بدفنهم. هنا برزت مجدداً «ظاهرة دفن الوديعة»، والمقصود بها لجوء اللبنانيين إلى دفن موتاهم وديعة في أرض مُتاحة، كخيار مؤقّت فُرض عليهم بسبب تلك الظروف، إلى حين يتمكنون من الوصول إلى قراهم فينقلون الجثمان إلى مرقده الأخير في مسقط رأسه.

ومنذ بدأ العدوان الإسرائيلي في 2 آذار الماضي، أودعت 500 جثمان كودائع مؤقّتة. ولم يكن قرار ترك الجثث «معلّقة» وخارج مثواها الأخير سهلاً على الأهالي. يتحدّث علي صولي، الذي دفن والدته وشقيقه وشقيقته ودائع بعدما ارتقوا في مجزرة حي السلم يوم «الأربعاء الأسود» في 8 نيسان الماضي، عن صعوبة القرار، ويقول: «عشنا تجارب مؤلمة، أولاها في انتشال الجثمانين والثالثة أثناء دفنهم في مكان بعيد عن أرضنا ومسقط رأسنا في الطيبة»، مضيفاً أن «ظروف الحرب فرضت تغيير كل طقوس الوداع والتشييع، ولم يبق لهم سوى التسليم بقضاء الله وقدره».

ولا يقتصر دفن الودائع على شهداء الحرب، بل من توفوا خلال فترة الحرب وتعذّر دفنهم في قراهم، مثل سهام التي توفيت يوم بدأت الحرب وكانت أوصت بدفنها في قريتها بنت جبيل، وهي «وصية يستحيل تنفيذها في الوقت الحالي لذلك قمنا بدفنها كوديعة في بيروت وننتظر تحرير المدينة والعودة لدفن جدتي وتنفيذ وصيتها».

ظاهرة قديمة

دفن الوديعة ليس ظاهرة جديدة في لبنان، وإنما تعود إلى عام 2006، حين انشئت مقبرة مؤقتة في مدينة صور، دُفن فيها آنذاك 138 وديعة، كذلك في حرب الـ66 يوماً عام 2024 استوعبت مدفن الوديعة 191 جثماناً، ثم سلّمت إلى أهاليها ودُفنت بشكل دائم ونهائي بعدما انسحب العدو الإسرائيلي من قرى الشريط الحدودي، وتمكّن الأهالي من دخول قراهم. واليوم، تتكرر التجربة مع تكرار الحاجة إليها في ظل العدوان المستمر، فخُصّصت منطقتان للدفن المؤقت، الأولى في منطقة التيرو والثانية في بلدة الورديّة، دفن فيهما 500 وديعة حتى كتابة هذه السطور. وتشير مصادر «الأخبار» في هيئة العمل الاجتماعي لحزب الله، إلى أن «هذه الأراضي وُهبت من أملاك خاصة وخُصّصت لدفن الودائع».

آلية الدفن

في ما يخصّ آلية دفن الوديعة، والتي تحيط بها الكثير من التساؤلات، تشرح المصادر نفسها أن «عملية الدفن تجري وفق بروتوكول تنظيمي وترتيبات لوجستية دقيقة تلافياً للوقوع في الأخطاء، عبر وضع شاهدة على كل قبر تضم اسم المُتوفّى وتاريخ الدفن، كما توجد خريطة للموقع مُرقّمة مع الأسماء». ويجري دفن الوديعة وفق مراحل، «تبدأ بتقديم طلب من أهل المُتوفّى/اة لدفنه وديعة، ثم يُجهّز الجثمان، ويوضع بالكفن داخل تابوت خشبي، مع إرفاق الرقم المتسلسل للوديعة عليه، وهي خطوة تسهّل التعرّف إليه لاحقاً». «وصية يستحيل تنفيذها في الوقت الحالي لذلك قمنا بدفنها كوديعة في بيروت وننتظر تحرير المدينة والعودة لدفن جدتي وتنفيذ وصيتها».

ظاهرة قديمة

دفن الوديعة ليس ظاهرة جديدة في لبنان، وإنما تعود إلى عام 2006، حين انشئت مقبرة مؤقتة في مدينة صور، دُفن فيها آنذاك 138 وديعة، كذلك في حرب الـ66 يوماً عام 2024 استوعبت مدفن الوديعة 191 جثماناً، ثم سلّمت إلى أهاليها ودُفنت بشكل دائم ونهائي بعدما انسحب العدو الإسرائيلي من قرى الشريط الحدودي، وتمكّن الأهالي من دخول قراهم. واليوم، تتكرر التجربة مع تكرار الحاجة إليها في ظل العدوان المستمر، فخُصّصت منطقتان للدفن المؤقت، الأولى في منطقة التيرو والثانية في بلدة الورديّة، دفن فيهما 500 وديعة حتى كتابة هذه السطور. وتشير مصادر «الأخبار» في هيئة العمل الاجتماعي لحزب الله، إلى أن «هذه الأراضي وُهبت من أملاك خاصة وخُصّصت لدفن الودائع».

آلية الدفن

في ما يخصّ آلية دفن الوديعة، والتي تحيط بها الكثير من التساؤلات، تشرح المصادر نفسها أن «عملية الدفن تجري وفق بروتوكول تنظيمي وترتيبات لوجستية دقيقة تلافياً للوقوع في الأخطاء، عبر وضع شاهدة على كل قبر تضم اسم المُتوفّى وتاريخ الدفن، كما توجد خريطة للموقع مُرقّمة مع الأسماء». ويجري دفن الوديعة وفق مراحل، «تبدأ بتقديم طلب من أهل المُتوفّى/اة لدفنه وديعة، ثم يُجهّز الجثمان، ويوضع بالكفن داخل تابوت خشبي، مع إرفاق الرقم المتسلسل للوديعة عليه، وهي خطوة تسهّل التعرّف إليه لاحقاً». «وصية يستحيل تنفيذها في الوقت الحالي لذلك قمنا بدفنها كوديعة في بيروت وننتظر تحرير المدينة والعودة لدفن جدتي وتنفيذ وصيتها».

ظاهرة قديمة

دفن الوديعة ليس ظاهرة جديدة في لبنان، وإنما تعود إلى عام 2006، حين انشئت مقبرة مؤقتة في مدينة صور، دُفن فيها آنذاك 138 وديعة، كذلك في حرب الـ66 يوماً عام 2024 استوعبت مدفن الوديعة 191 جثماناً، ثم سلّمت إلى أهاليها ودُفنت بشكل دائم ونهائي بعدما انسحب العدو الإسرائيلي من قرى الشريط الحدودي، وتمكّن الأهالي من دخول قراهم. واليوم، تتكرر التجربة مع تكرار الحاجة إليها في ظل العدوان المستمر، فخُصّصت منطقتان للدفن المؤقت، الأولى في منطقة التيرو والثانية في بلدة الورديّة، دفن فيهما 500 وديعة حتى كتابة هذه السطور. وتشير مصادر «الأخبار» في هيئة العمل الاجتماعي لحزب الله، إلى أن «هذه الأراضي وُهبت من أملاك خاصة وخُصّصت لدفن الودائع».

قرى ساحل الزهراني: الملاذ الأخير للجنوبيين في الجنوب

نظمية الدرويش

4 آلاف عائلة نزحت من عمق الجنوب إلى بلدات وقرى ساحل الزهراني في قضاء صيدا، وتوزّعت على البلدات البعيدة عن خطّ نهر الليطاني، مثل اللويزة، البابلية، السكسكية، الصرفند، البيسارية والنجارية.

2200 عائلة نازحة في الصرفند

تستقبل بلدة الصرفند وحدها حوالي 2200 عائلة نازحة، أغلبيتها تمّ استقبالها في منازل من دون بدل إيجار في خطوة شجّعت عليها بلدية الصرفند لمحاولة التخفيف عن النازحين أعباء إضافية الى جانب تركهم منازلهم ومصالحهم. هنا يؤكد رئيس بلدية الصرفند علي خليفة بدوره أن «البلدية تحاول تقديم كل ما هو مُتاح لديها من مساعدات، وعلى الرغم من الأعباء الإضافية التي فرضتها الكثافة السكانية الكبيرة، فالبلدية تقوم بما تستطيع لتأدية واجباتها الخدماتية تجاه الأهالي والنازحين. إلا أن التحدّي الأكبر، بحسب خليفة، يبقى في عدم قدرة العائلات النازحة على تأمين مصادر دخل ثابتة أو تحمّل بدل الإيجارات في حال طال أمد الحرب واستمر النزوح لفترة أطول.

في الأيام الماضية، لم تفلح الهدنة في كبح النيران المعادية، فتوالت أسماء البلدات المهدّدة من قبل العدو الإسرائيلي خصوصاً قرى النبطية، مثل بلدات بحمر وكفرتبنيت والنبطية الفوقا وميفدون وزبدين وغيرها. وأول من أمس ومع توسّع مساحة التهديدات، اشتدّت موجة النزوح نحو قرى ساحل الزهراني باعتبارها آمنة نسبياً كونها لم تتعرّض لنفس حجم الاعتداءات التي طاولت مناطق أخرى بعد دخول اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان حيز التنفيذ في 17 نيسان.

هنا تؤكد غادة قبيسي إصرارها على عدم النزوح إلى الشمال، على الرغم من التهديد الذي طاول بلدتها زبدين في قضاء النبطية في الأيام الأخيرة. وتوضح أنها غادرت منزلها مؤقتاً إلى بلدة السكسكية بعد تلقّي اتصال يُفيد بأن البلدة مشمولة بـ«إنذار الإخلاء»، إلا أنها ترفض مغادرة الجنوب، مشدّدة على أن وجهتها الوحيدة تبقى العودة إلى بيتها في زبدين، حتى لو كان مدمّراً.

النزوح إلى هذه البلدات ليس جديداً، فمنذ تشرين الأول 2023 قصدت أطفال وعائلات كاملة، فيما بقي مفقودون لأيام تحت الأنقاض لأنّ الوصول إليهم كان شبه مستحيل. ضيق الشوارع آخّر دخول الآليات الثقيلة، فتحوّل السكان أنفسهم إلى فرق إنقاذ بدائية، يحفرون بأيديهم وبين الحجارة والإسمنت على وقع أصوات استغاثة كانت تخرج من تحت الردم ثم تخفت تدريجياً مع مرور الوقت. بعض الجثامين انتُشل بعد أيام، وبعضها لم يُعثر عليه كاملاً أصلاً بسبب تفتّت الأجساد واختلاط الأشلاء.

وفي الشويفات وكيفون، سقط نحو 32 شهيداً في كل منطقة، لكنّ قسوة المجزرتين لم تكن في العدد وحده، بل في طبيعة المكان المُستهدف. المنطقتان كانتا تُعاملان بوصفهما ملاذاً للنازحين الهاربين من الجنوب والضاحية، قبل أن تتحوّلا إلى امتداد للطابق الخامس واستقرّ قرب غرفة الناطور.

وفي كورنيش المزرعة، حيث سقط سبعة شهداء و43 جريحاً، تحوّل حيّ مكتظّ بالنازحين والعمال والعائلات إلى مساحة من الزجاج المحطّم والركام. أمّا المنارة فسقط فيها خمسة شهداء، وفي بئر حسن – الرحاب ثمانية شهداء آخرين. جنوباً، دفعت حارة صيدا ثمناً ثقيلاً مع ستة شهداء و25 جريحاً في استهداف مجمّع السيدة الزهراء، فيما توزّعت الخسائر على صور – الحسبة، جويا

> **في حيّ السلم، إحدى أكثر المناطق كثافة في الضاحية الجنوبية، وقعت واحدة من أكثر المجازر دموية**

وعدلون، حيث سقط ثلاثة شهداء في كل منطقة، إلى جانب إصابات ودمار واسع في الأحياء السكنية.

وفي البقاع، امتدّ المشهد الدموي من الهرمل إلى دورس وسهل طاريا. أربعة شهداء سقطوا في الهرمل، وثلاثة في سهل طاريا، فيما شهدت دورس سقوط 6 شهداء و16 جريحاً، في استهدافات لم تفرّق بين منطقة سكنية وأخرى زراعية، ولا بين مركز إسعاف ومحيطه المدني.

الجنوب: كل يوم هو 8 نيسان

في الجنوب تحديداً، لا تُقاس التضحيات بعدد الشهداء فقط، بل بالإحساس الدائم بأن الحياة نفسها باتت مؤقّتة. أطفال ينامون بملابسهم تحسّباً للهروب، نساء يجهّزن حقائب الطوارئ كل ليلة، ورجال يعودون إلى بيوتهم المُتصدّعة فقط لانتشال أوراق أو صور أو بعض الذاكرة.

وعلى الرغم من التفاوت في تسليط الضوء الإعلامي على الضربات بين بيروت والجنوب، يبقى الألم واحداً. الجنوب، الذي عاش المجزرة بعيداً عن العدسات، يستمر اليوم في تلقّي القصف حتى بعد انحسار الاهتمام، كأنّ الحرب هناك لا تحتاج إلى إعلان كي تستمر. وهنا، لم يعد السؤال: متى انتهى 8 نيسان؟ بل: كيف يمكن العيش داخل يوم لا ينتهي أصلاً؟

30 يوماً مرّت على المذبحة، ولا يزال الجنوب يعيش تحت إيقاع ذلك اليوم الذي لم ينتهِ. ما يتبدّل ليس المشهد بل حدّة الألم، فيما تبقى القرى عالقة بين غارات تتجدّد وضغط لا يهدأ، يطاول قلب القرى نفسه: ساحاتها، بيوتها القديمة، ومعالمها التراثية والأثرية التي تختزن ذاكرة المكان وهويته. وكأنّ الفعل لم يعد مجرّد قصف جغرافي، بل أضحى مسّاً مباشراً ببنية القرية الرمزية، حيث تُستهدف مراكز التجمّع والحياة اليومية، تماماً كما يُستهدف القلب في الجسد.

بهذا المعنى، لا تبدو القرى مجرّد مساحات على الخريطة، بل كيانات تُستنزف من داخلها، تُضرب ذاكرتها قبل عمرانها، وتُفكّك صورتها قبل جدرانها، في محاولة لإعادة تعريف معنى المكان ذاته تحت النار المستمرة. في صيدا وصور والنبطية والقرى الحدودية، يتكرّر المشهد نفسه: منازل مُهدّمة، مساحات تُنسف، عائلات تنزح ثم تعود ثم تنزح مجدّداً، وبيوت تُترك مفتوحة على احتمالات القصف في أي لحظة. حتى الهدنة الإقليمية التي أُعلنت يوم المجازر بدت كأنها تعيد إنتاج الاستثناء اللبناني بدل أن توقف النار.

في الأيام الماضية، لم تفلح الهدنة في كبح النيران المعادية، فتوالت أسماء البلدات المهدّدة من قبل العدو الإسرائيلي خصوصاً قرى النبطية، مثل بلدات بحمر وكفرتبنيت والنبطية الفوقا وميفدون وزبدين وغيرها. وأول من أمس ومع توسّع مساحة التهديدات، اشتدّت موجة النزوح نحو قرى ساحل الزهراني باعتبارها آمنة نسبياً كونها لم تتعرّض لنفس حجم الاعتداءات التي طاولت مناطق أخرى بعد دخول اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان حيز التنفيذ في 17 نيسان.

هنا تؤكد غادة قبيسي إصرارها على عدم النزوح إلى الشمال، على الرغم من التهديد الذي طاول بلدتها زبدين في قضاء النبطية في الأيام الأخيرة. وتوضح أنها غادرت منزلها مؤقتاً إلى بلدة السكسكية بعد تلقّي اتصال يُفيد بأن البلدة مشمولة بـ«إنذار الإخلاء»، إلا أنها ترفض مغادرة الجنوب، مشدّدة على أن وجهتها الوحيدة تبقى العودة إلى بيتها في زبدين، حتى لو كان مدمّراً.

النزوح إلى هذه البلدات ليس جديداً، فمنذ تشرين الأول 2023 قصدت مئات العائلات بلدات الزهراني بعد موجة التهجير القسري من قرى الحافة الأمامية، مثلاً عائلة قبلان نزحت في أوائل أيام العدوان من بلدتها ميس الجبل قاصدةً بلدة السكسكية بحكم الروابط العائلية. بعض هذه العائلات استقر فيها وبقي خلال حربي 2024 2026 مثل عائلة فرّان من بلدة طيردبّا، فيما نزح آخرون منها ثم عادوا إليها بعد انتهاء الحرب كعائلة رضا من بلدة عيتا الشعب. ومع ذلك بقي العديد من العوائل النازحة من بلدات جنوب نهر الليطاني في بلدات ساحل الزهراني. وفي الحرب الآن صمدت إلى جانب قسم كبير من أهالي هذه المنطقة، حتى وصل عدد الصامدين فيها إلى 11 ألفاً و600 عائلة بحسب غرفة عمليات إدارة الكوارث في محافظة الجنوب.

> **استطاعت بلدات كبيرة مثل البيسارية والصرفند استيعاب العدد الأكبر من النازحين سواء في المنازل أو في مراكز الإيواء**

يقول مسؤول غرفة العمليات ومدير اتحاد بلديات ساحل الزهراني، سلام بدر الدين إنّ «حجم النزوح نحو قرى وبلدات ساحل الزهراني كبير جداً هذه المرّة. وقد استطاعت بلدات كبيرة مثل البيسارية والصرفند استيعاب العدد الأكبر من النازحين، سواء في المنازل أو في مراكز الإيواء». بالنسبة إلى بدر الدين «يعود سبب التوجّه نحو بلدات وقرى قضاء صيدا عموماً إلى شعور النازحين بالقرب من بلداتهم وأماكن عملهم من جهة، وارتفاع تكلفة أعباء التنقّل إلى مناطق الشمال البعيدة من جهة أخرى».

من جهته يشير محسن سلمان، أحد النازحين إلى بلدة السكسكية إلى أنهم «حاولوا العودة إلى مدينة صيدا بعد خرق العدو للهدنة الهشّة»، فغادروا بلدتهم الشهابية قاصدين صيدا، إلا أنهم «لم يعثروا على أي منزل مُتاح للإيجار»، ما اضطرهم إلى التوجه أولاً إلى الصرفند ثم إلى السكسكية، «هذه المنطقة هي خط ثالث لذا نعتبر أنفسنا في مكان آمن حالياً»، يقول سلمان.

الحالة نفسها تتكرر مع عليا فرّان، ابنة بلدة دبعال الجنوبية، والتي نزحت بسبب الحرب إلى بلدة الصرفند، قبل أن تعود إلى قريتها عقب الهدنة. لكن الخروقات الإسرائيلية المتواصلة واقتراب القصف من المنطقة، فضلاً عن المجزرة التي شهدتها دبعال، دفعتها مجدداً هي وأولادها وأحفادها إلى النزوح نحو الصرفند.

وعلى الرغم من اقتراب دائرة التهديدات من محيط البلدة التي لجأت إليها، تؤكد فرّان أنها «ترفض النزوح إلى الشمال هذه المرة»، مضيفة: «ما بدي فلّ بعد. بدي ضل قريبة عضيعتنا، وإذا صار وقف إطلاق نار نرجع دغري». وتشير إلى أنها لم تعد تحتمل شعور الابتعاد المتكرر عن الجنوب، مفضّلة البقاء في منطقة أقرب إلى بلدتها مهما اشتدّ الخطر.

نازحة في احد مراكز الإيواء (عروات بو حيدر)

كيف ينظر الدين إلى دفن الوديعة؟

يثير دفن الودائع مسألة خلافية عند الفقهاء الشيعة، إذ يجيزها المرشد الراحل علي خامنئي وفق شروط محددة، بينما يرفضها السيد علي السيستاني، وآخرون من منطلق أن «إكرام الميت دفنه».

ويعدّد الشيخ خميني ملك لـ«الأخبار» الشروط التي تُجيز دفن الوديعة، من بينها عدم القدرة على الدفن في المكان الذي أوصى به الميت أو الشهيد كالظروف التي نعيشها اليوم. وتختلف طريقة الدفن بحسب هوية الميت، بمعنى آخر، «تتم إجراءات الدفن وديعة نفسها المعتادة من غسل وتكفين للمتوفّين (مدنيين)، بينما يُدفن الشهيد بدمه وثيابه على الهيئة التي استُشهد بها، وتوجّه مقادم بدنه إلى ناحية القبلة، أي يوضع في صندوق على جانبه الأيمن بحيث يكون وجهه وصدره مستقبليْن لناحية القبلة».

ولا يقتصر دفن الوديعة فقط على الحرب أو الظروف الأمنية، بل هناك ظروف أخرى يجوز فيها هذا الإجراء، بحسب ما يلفت ملك، كـ«أن يكون هناك حصار لسبب ما وتحصل حالة وفاة في أرض ليست مملوكة، فيضطر من يكون مع الميت أن يدفنه فيها وديعة إلى حين يزول السبب الطارئ، ويتم إخراج الوديعة كون الأرض غير مملوكة أو ربما تكون أرضاً مُشاعاً للدولة». وفي الإطار نفسه «لا يجوز الدفن في الأرض المغصوبة أو التي لا يحصل فيها المكلّف على إذن في الدفن».

بالإضافة إلى ما سبق، هناك حالات أخرى خارجة عن القاعدة الفقهية، ترتبط بجوانب اجتماعية ونفسية مثل رغبة أهل المُتوفّى في دفن أقاربهم في قراهم أو بلداتهم، لتسهيل زيارتهم والاستئناس بقبورهم، فالحكم في هذه الحالة: «لا بأس به، لكنه ليس أمراً فقهياً».

الحرب الكونية ضد المقاومة

تضخّم لبنان يتراجع رغم ارتفاع الأسعار!

ماهر سلامة

في الظاهر، تبدو أرقام التضخّم في لبنان أفضل مما كانت عليه خلال سنوات الانهيار. فبحسب تقرير «مراجعة الاقتصاد الكلّي» الذي أصدره مصرف لبنان عن سنة 2025، تراجع معدّل التضخّم السنوي إلى 12,2% في كانون الأول 2025، فيما بلغ متوسط التضخّم على أساس 12 شهراً 14,6% خلال السنة، مقارنة بـ45,2% في عام 2024. وهذا، بحسب التقرير، هو أدنى مستوى للتضخّم منذ شباط 2020، الصادر عن مصرف لبنان في كانون الأول 2025. لكنّ هذا التراجع لا يعني أن الأسعار عادت إلى مستويات طبيعية، ولا أن الضغوط المعيشية خفّت فعلياً عن الأسر، بل إن المعاينة الفعلية تشير إلى أن الأسعار على سكة ارتفاع متواصل لم ينقطع منذ الانهيار المصرفي والنقدي في عام 2019.

يأتي الارتفاع في الأسعار في ظلّ تثبيت سعر الصرف، ما يعني أنه ارتفاع فعلي في الأسعار المُقوّمة بالدولار، لا مجرّد انعكاس لانهيار جديد في الليرة. ويتزامن ذلك مع الدولرة الواسعة للأسعار التي شهدها الاقتصاد في السنوات الأخيرة، من دون أن تُقابِلها دولرة مماثلة وكاملة للأجور أو تعويض حقيقي للخسائر التي لحقت بالمداخيل بعد الأزمة. بمعنى آخر، إن الجزء المحدود من الأجور الذي تعافى نسبياً بفعل الدولرة عاد يتآكل مرّة أخرى، لكن هذه المرة بفعل التضخّم بالدولار، لا بسبب تدهور سعر الصرف.

التقرير نفسه يلفت إلى أن التضخّم، رغم استقرار سعر الصرف، بقي أعلى بكثير من معدّلات ما قبل الأزمة التي كانت تدور حول 3%، ما يعني أن المشكلة لم تعد محصورة بانهيار الليرة، بل باتت مرتبطة أيضاً ببنية السوق وآليات التسعير داخله.

بحسب التقرير، ساهم استقرار سعر الصرف في كبح الموجات التضخمية الكبرى التي عاشها لبنان منذ عام 2019. فبعد سنوات كان فيها تبدّل سعر الدولار مقابل الليرة ينعكس فوراً على أسعار السلع والخدمات، أدّى تثبيت سعر الصرف نسبياً، إلى جانب سياسة مالية ونقدية أكثر تشدّداً، إلى إبطاء وتيرة ارتفاع الأسعار. كما ساعد تراجع التضخّم العالمي وانخفاض أسعار الطاقة والغذاء عالمياً في تخفيف جزء من الضغط المُستورد. لكنّ المفارقة أن هذا التحسّن الخارجي لم ينتقل بالكامل إلى المستهلكين في لبنان.

> **بقي التضخّم في لبنان أعلى من التضخّم العالمي المُقدّر بنحو 4,2%**

فالأسعار المحلية واصلت الارتفاع حتى في القطاعات التي يُفترض أن تستفيد من انخفاض أسعار السلع العالمية.

هنا تكمن نقطة الضعف الأساسية في مشهد التضخّم اللبناني عام 2025. فلم يعد ارتفاع الأسعار يُفسَّر فقط بما يجري في الخارج أو بسعر الصرف، بل بات يكشف عن تشوّهات داخلية أعمق. فبحسب التقرير، بقي التضخّم في لبنان أعلى من التضخّم العالمي المُقدّر بنحو 4,2%، وأعلى من المعدّل الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا البالغ 12,2%، ما يشير إلى أن الأسعار المحلية أصبحت مدفوعة أكثر بعوامل داخلية مثل محدودية المنافسة، ارتفاع هوامش الربح، ضعف قنوات التوزيع، وتصلّب الأسعار نزولاً.

ويتضح هذا الخلل أكثر عند تفكيك مؤشّر أسعار الاستهلاك. فالتضخّم لم يكن موزعاً بالتساوي على كل السلع والخدمات، بل تركّز في بنود محدّدة. سجّل قطاع التعليم، مثلاً، ارتفاعاً كبيراً في الأسعار بلغ 38,8% في عام 2025، بعد قفزة كبيرة بلغت 187% في عام 2024. ويربط تقرير مصرف لبنان هذا الارتفاع بتطبيع الأقساط بعد الأزمة وبانتقال كلفة الأجور إلى الدولار، إضافة إلى الطابع الموسمي لارتفاع الأقساط مع بداية العام الدراسي. كما يشير إلى أن ضعف التعليم الرسمي يزيد الطلب على المدارس والجامعات الخاصة، ما يجعل الطلب أقل مرونة ويسمح بزيادات كبيرة في الرسوم.

أمّا الغذاء، وهو البند الأكثر حساسية بالنسبة إلى الأسر، فبقي معدّل تضخّم الغذاء والمشروبات غير الكحولية 20,4% في عام 2025، أي أعلى من التضخّم العام، رغم تراجع أسعار الغذاء عالمياً. وبحسب تقرير مصرف لبنان كانت الزيادات مدفوعة خصوصاً بارتفاع أسعار الخُضَر والبطاطا بنسبة 84%، والفواكه بنسبة 34%، إضافة إلى ارتفاع أسعار القهوة والشاي والكاكاو بنسبة 14%. ويعكس ذلك مزيجاً من الاعتماد على الاستيراد، وضعف الإنتاج المحلي، والاختناقات في سلاسل الإمداد، وارتفاع كلفة التوزيع.

يتحدّث التقرير عن انتقال أسعار السلع العالمية إلى لبنان. ففي عام 2025،انخفض مؤشّرا صندوق النقد الدولي لأسعار الوقود والغذاء، لكن المكوّنات المحلية المقابلة لهما في مؤشّر أسعار الاستهلاك، أي النقل والغذاء، واصلت الارتفاع. وبحسب التقرير، فإن هذا يعني أن انخفاض الأسعار العالمية انتقل فقط جزئياً إلى الأسعار المحلية، بسبب الجمود البنيوي في السوق، وكلفة التوزيع، وضعف الكفاءة، وعوامل محلية أخرى حدّت من استفادة المستهلك من التراجع الخارجي.

في قطاع النقل، انخفض مؤشّر صندوق النقد الدولي لأسعار الوقود بنحو 9% في المتوسط خلال عام 2025. لكن أسعار النقل في لبنان ارتفعت في المقابل بمعدّل 3,4%، بعد أن كانت قد ارتفعت 17,9% في عام 2024. ورغم أن حركة أسعار النقل محلياً بقيت مرتبطة شهرياً بحركة أسعار الطاقة عالمياً، فإن الفارق في الحجم بقي واسعاً. ففي كانون الأول 2025، تراجع مؤشّر الوقود العالمي بنسبة 17% على أساس سنوي، بينما ارتفعت أسعار النقل في لبنان بنسبة 3,2%، أي بفارق يتجاوز 20 نقطة مئوية.

ويعزو التقرير هذا الفارق إلى كلف محلية إضافية، تشمل التشغيل والشحن والتأمين واللوجستيات، وهي كلف تمنع انتقال انخفاض أسعار الوقود عالمياً إلى المستهلك النهائي.

والأمر نفسه ينطبق على الغذاء. فقد تراجع مؤشّر صندوق النقد الدولي لأسعار الغذاء بنسبة 3% في عام 2025، بعد انخفاضه 7% في عام 2024، لكن مكوّن الغذاء في مؤشر الأسعار اللبناني ارتفع بنسبة 35% في عام 2025، مقارنة بـ28% في عام 2024. ورغم وجود علاقة قوية بين السلسلتين منذ الأزمة ورفع الدعم، فإن التضخّم الغذائي المحلي بقي أعلى بشكل مستمر من تغيّرات الأسعار العالمية. ويشير التقرير إلى عوامل مساهمة في هذا الأمر مثل الاعتماد على الاستيراد، اختناقات سلاسل الإمداد، ضعف كفاءة التوزيع، تركّز أسواق الجملة، وتصلّب أسعار السلع الأساسية نزولاً. وفي كانون الأول 2025 تحديداً، تراجعت أسعار الغذاء العالمية بنسبة 4%، بينما ارتفعت أسعار الغذاء في لبنان بنسبة 15%. هذا يعني أن لبنان لم يستفد بالكامل من موجة تراجع الأسعار العالمية في عام 2025. فالمشكلة تظهر في أن كلفة الاستيراد والتوزيع والتسعير داخل السوق المحلية تضيف طبقات جديدة فوق السعر العالمي. لذلك، فإن استقرار سعر الصرف لم يعد كافياً وحده لإعادة التضخّم إلى مستويات منخفضة. فطالما أن الأسواق قليلة المنافسة، وسلاسل التوريد غير فعّالة، والأسعار لا تنخفض بالوتيرة نفسها التي ترتفع فيها، سيبقى المستهلك اللبناني يدفع كلفة أعلى من تلك التي تبرّرها الأسعار العالمية.

في المحصّلة، إن هذا كله كان وصفاً لواقع عام 2025، أي قبل أن تدخل البلاد في موجة جديدة من التصعيد الداخلي والإقليمي خلال عام 2026. فإذا كان التضخّم قد بقي مرتفعاً رغم استقرار سعر الصرف وتراجع بعض الأسعار العالمية، فإن اندلاع الحرب وما رافقها من ارتفاع في أسعار الطاقة، واضطراب في سلاسل التوريد، وزيادة في كلفة الشحن والتأمين، كل ذلك يضيف طبقة جديدة من الضغوط على الأسعار. ولا يقتصر الأمر على العوامل الخارجية، إذ إن الحرب نفسها تخلق عوامل تضخّمية داخلية، من تراجع العرض، وارتفاع كلفة النقل والتخزين، وتعطّل بعض الأنشطة، وزيادة المخاطر في الأسواق.

(هيثم الموسوي)

كلمات متقاطعة 5078

أفقيا

1- مدينة سورية – مدينة لبنانية – 2- فنان لبناني راحل – 3- نهار وليل – إمارة عربية – طعن بالرمح – 4- إله مصري – للنفي – مدينة فرنسية – 5- ماركة سيارات – قلة كبيرة من الناس تربطهم تقاليد وثقافة مشتركة – 6- نوتة موسيقية – مشروب غازي – 7- شربة من الخمر على شرف المحتفى به – وشى – مادة مخدرة – 8- خلاف حرام – أمر خفيّ – 9- كان شديد الخصومة – مدينة نيبالية – 10- عاصمة عربية – مدينة فرنسية

عمودياً

1- اليعسوب – 2- ناقة تتقدم الإبل في سيرها – تفانٍ ووفاء في الحب – 3- يبيعه الجزار – مدينة سويسرية – 4- أغلظ أوتار العود – مضيع اللقمة – 5- بلدة لبنانية في قضاء عاليه – منخفض بالأجنبية – 6- مرض جلدي – زمان غروب الشمس – 7- كفيل مفوض – دق الجرس – 8- ضمير متصل – للندبة – سلالة كلاب متوسطة الحجم تعد من أوفى الكلاب – 9- يظهران استياءهما من موضوع معين – سقي – 10- مدينة في المملكة العربية السعودية – مدينة لبنانية

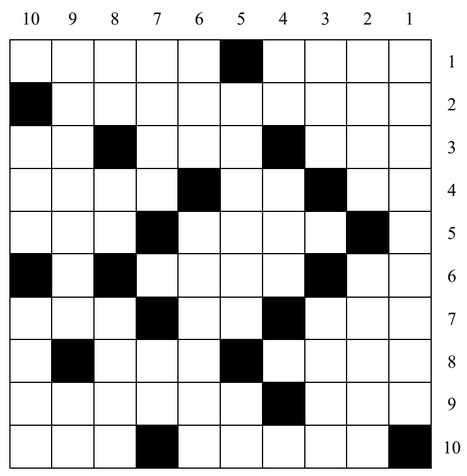

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- أزهار الشر – 2- ناصيف زيتون – 3- تخر – ام – انف – 4- هو – فتيات – 5- مر – رب – رت – 6- زائير – روسي – 7- يكاد – داس – 8- شت – هالي – 9- ما – بوليمو – 10- زكريا – ميمس

عمودياً

1- انتهازي – مز – 2- زاخو – اكشاك – 3- همس – مئات – 4- اي – فريد – بي – 5- رفات – روا – 6- ازمير – 7- لي – ابراهيم – 8- شتات – وسامي – 9- رون – رس – لوم – 10- نفرتيتي

sudoku 5078

6			7	8	5			4
		4		1		5	7	
9								2
		2	3		6	7		
3			8		9			1
	8						6	
		3		9		6		
4	9		5		8			3
		8		3		4		

حلول الشبكة السابقة

2	3	1	6	4	8	5	9	7
5	7	4	2	3	9	8	6	1
6	8	9	7	1	5	4	3	2
3	1	2	4	9	6	7	8	5
8	9	7	3	5	1	6	2	4
4	6	5	8	2	7	3	1	9
1	2	3	5	8	4	9	7	6
7	5	8	9	6	2	1	4	3
9	4	6	1	7	3	2	5	8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 375

كلمة السر من 5 حروف: بلدة لبنانية في قضاء البترون

البترون – اده – بقسميا – بشعله – تنورين – تولا – جبلا – جران – حردين – داعل – رام – سمار – جبيل – سلعاتا – شكا – صغار – صك – قندولا – كور – نحلا – وجه الحجر

ك	ر	ف	س	ل	ف	ل	ف	ل	ا					
ر	م	ت	م	ر	د	ق	و	ش	ز					
ت	ن	ش	ا	ن	ع	ح	ل	م	ر					
ف	ب	ك	ن	ب	ا	ف	ل	م	ن					
ق	ش	ر	و	ه	ح	ش	ب	ع						
ر	و	ر	ك	م	ا	ي	ح	ن						
ف	ذ	ت	س	ي	م	ك	ر	ع						
ة	ع	ا	ه	ر	ق	ر	ن	ل						
ز	ا	ن	ا	ا	ل	د	ر	غ	ا					
ق	ن	ب	ل	ك	ن	ي	ع	ص	ق					

حلول الشبكة السابقة: زعفران

عملية حسابية 375

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	X		٪	6	=	12
٪		X		X		
	+		٪		=	3
X		–		٪		
15	X		٪		=	10
=		=		=		
90		49		14		

حلول الشبكة السابقة

12	٪	6	X	30	=	60
X		X		٪		
5	X	7	X	2	=	70
٪		–		X		
4	+	14	X	3	=	54
=		=		=		
15		28		45		

شبكة العنكبوت 375

إعداد نعوم مسعود

1 – 6 نوع من الرخام الأبيض شديد الصلابة والصفاء
5 – 16 رابع خلفاء الدولة الأموية في دمشق
15 – 23 سياسي إيراني راحل شغل منصب وزير الخارجية في حكومة محمد خاتمي
22 – 33 موسيقار وملحن ومسرحي وكاتب لبناني راحل
32 – 40 مغنية راب من ترينيداد وتوباغو تلقب بـ« ملكة الراب »
39 – 47 أصيدة شهيرة للشاعر اللبناني سعيد عقل تغنى فيها بالجمال المطلق
45 – 53 أغنية للفنان جورج وسوف
52 – 57 عاصمة كازاخستان
56 – 63 مدينة بابانية دمّرت خلال الحرب العالمية الثانية بواسطة قنبلة ذرية
62 – 70 اسم يُطلَق على مبنى وزارة الخارجية الفرنسية
70 – 78 عاصمة جزيرة كريت
76 – 84 شاعر لبناني راحل له ديوان « احلام الصبا »
83 – 86 من المكسرات
86 – 91 مدينة في أفغانستان
89 – 98 رئيس أميركي راحل
96 – 101 عاصمة الفيليبين
100 – 104 كهف في فرنسا يُعتبر أقدم كهف حضاري في العالم
103 – 110 عاصمة الدانمارك

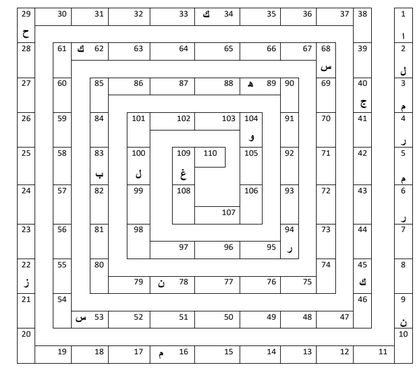

حل شبكة العنكبوت السابقة

الباوباب – ابراهيم الأمين – ميناء الحصن – صنين – نفرتيتي – تيرانا – تاسك الشخروب – روبن هود – داليدا – اشباح ورموز – زهرة المدائن – نوميا – القرصان – انفولا – لا مارتين – تينو روسي – سيدي سالم – المنامة

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5078

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ديبلوماسي سويدي (1895-1948). قاد مفاوضات شاقة في فلسطين عام 1948. أغتيل

2+1+4+2+8+3+9+7 = عاصمتها ستانلي ■ 10+11+6 = في العود ■ 5+7 = من الحبوب

حل الشبكة الماضية: **سفيان الشعري**

الحرب الكونية ضد المقاومة

فرملة لا تخلّ عن سياسة الإذعان!

سعد الله مزرعاني *

في مجرى تعقيدات متلاحقة، أطلق الرئيس جوزيف عون مبادرة تفاوض مباشر مع القيادة الإسرائيلية. التعقيدات متنوعة. الداخلية منها، تمثلت في عدم صحة تقديرات الرئيس اللبناني لجهة حجم التطلب الأميركي والإسرائيلي بشأن سلاح المقاومة والوضع اللبناني عموماً. عبّر الأميركيون عن ذلك بالحاجهم، والإسرائيليون بتصعيدهم العسكري. انتقدوا أسلوب عون. أطلقوا متطرفين أميركيين صهاينة لإحراجه حتى من على منبر الرئاسة. تصرفوا بوقاحة وقلة أدب حيال قائد الجيش. بالمقابل، ارتفعت أسهم رئيس الحكومة، شعر الرجل، الذي وصل إلى سدّة الرئاسة بدعم أميركي، أنه لا يملك أي هامش للمناورة، وأنه بات مهدداً. في الأثناء، توقّفت كلياً «الميكانيزم». لم يقدّم أو يؤخّر تكليف السفير السابق سيمون كرم في إرضاء واشنطن أو تل أبيب. إزاء ذلك وسواه، جنحت المداولات بين جيش المستشارين في بعبدا نحو حرق المراحل: إحداث استدارة كاملة في سياسة الرئيس. طرح المفاوضات المباشرة. بلورة معادلة أن ميزان القوى قد حُسم لمصلحة أميركا وإسرائيل. تبنّي مقاربة رئيس الحكومة ورواية جمجع وأمثاله للمشكلة وللحل.

في الأثناء، كانت واشنطن تطلق يد تل أبيب في إدارة وتنفيذ حرب شاملة على لبنان والمقاومة، بهدف إخضاع الأول، وتصفية الثانية. حشدت تل أبيب في حربها تلك نخبة قواتها وفرق جيشها. لكنها اصطدمت، سريعاً، بمقاومة ضارية، مفاجئة، ومتكيفة، وصلبة بعقيدة وبأسلوب قتالها، وبمسيّراتها المستعصية على الرصد والتدمير. المهل التي طلبها نتنياهو استُهلكت دون جدوى. جاهر المسؤولون الإسرائيليون بعجزهم عن تفادي الخسائر. ارتفعت أصوات تطرح، جدّياً، مسألة الانسحاب من لبنان بعد اتخاذ قرار بسحب عدد من الوحدات العسكرية وحصر الأهداف بـ«تأمين مستوطنات الشمال».

تزامن ذلك مع صمود إيراني غير متوقع على هذا النحو. تراجعت الأطماع الإسرائيلية والجموح الترامبي. حينها استُحضرت مبادرة الرئيس عون (بعد تجاهل استمرّ حوالى شهر) من أجل تسجيل انتصار معنوي/سياسي لمصلحة واشنطن وتل أبيب عبر إدخال لبنان في حظيرة التطبيع مع العدو. لهذا الغرض تم، بسرعة، بين بيروت وواشنطن وتل أبيب، توليف لقائي سفيرة لبنان وسفير العدو في واشنطن: الأول بحضور وزير الخارجية، والثاني بحضور ترامب نفسه (ومعظم أركان إدارته ممن لم يُقالوا بعد!). لا وقف لإطلاق نار، وهو ذريعة وبداية مبادرة عون، على الإطلاق! البيان الأول الذي أذاعته الخارجية الأميركية عن اللقاء، اختصر المفاوضات قبل أن تبدأ: «حق العدو، وحده، في الدفاع عن النفس». التعاون على نزع سلاح المقاومة. في اللقاء الثاني، حدّد ترامب نفسه، موعداً، خلال 3 أسابيع، للقاء رئيسي لبنان وإسرائيل! حصل ذلك في خضم استمرار العدوان الإسرائيلي، ولإطلاق مرحلة جديدة في التصدي للاعتداءات الإسرائيلية بعد امتناع دام 15 شهراً. فاجأت المقاومة العدو قبل الصديق. تصميم واستعداد قلبا المشهد: المقاومة تعافت، وتعلمت من التجربة السابقة، وبانت أقدر وأكثر إيلاماً للعدو.

رغم ذلك واصل الرئيس عون وفريقه، في السلطة وخارجها، توجههما الساعي نحو التفاوض، إلى درجة الاستجداء: «بأي ثمن وفي أي مكان»، وبعد التخلي عن كل عوامل القوة سلفاً! طبعاً، النتيجة كانت كارثية، كما ذكرنا آنفاً: في بيان الخارجية الأميركية، وفي تصعيد العدوان الإسرائيلي وصولاً إلى الضاحية الجنوبية مساء الأربعاء الماضي: بمباركة واشنطن، كما أعلن العدو رسمياً!

ذكرنا بأنه، بسبب هذه المفاوضات بشروط شروط إجرائها، حقق كل من الرئيسين الأميركي والإسرائيلي مكاسب سياسية وإعلامية. بيد أن الأخطر سيكون إما فرض اتفاق إذعان على لبنان، أو إحداث فتنة بين اللبنانيين، أو على الإثنين معاً! في مجرى ذلك وخصوصاً بعد نجاحات المقاومة ميدانياً (وهي وعدت بذلك)، لوحظ نشاط لقوى عربية وأجنبية، لتدارك تصعيد غير مسبوق عليه، في الداخل اللبناني أو في المنطقة بسبب الجموح الأميركي والجشع الصهيوني. لقد تعثّرت، رغم كل الضغوط، محاولات زجّ الجيش في حرب مع المقاومة. كذلك تعثّرت، حتى الآن، محاولات استدراج السلطة السورية الجديدة إلى هذا المنزلق. يمكن القول، أيضاً، إنه قد جرى تطويق محاولات إحداث فتنة تنهض بها، خصوصاً، قوى محلية ذات تاريخ ممتد في التعاون مع العدو. لكن المؤامرة مستمرة. لقد فرضت بطولات المقاومين من جهة، ووحشية العدو وتواطؤ واشنطن، من جهة ثانية، فرملة اندفاعة فريق الإذعان نسبياً. لكنه يواصل الإصرار على المضيّ في جوهر خياره. أحد الأدلة على ذلك، الإمعان في التفرّد، وتشويه وتزوير المعطيات والمقارنات بتم، تكراراً، استحضار «الطائف» بشأن مسألتي سلاح الميليشيات وسلاح المقاومة. يكفي أن نشير هنا إلى البيان الوزاري لحكومة «الطائف» الأولى برئاسة المرحوم الرئيس سليم الحص. استناداً إلى نص «وثيقة الوفاق الوطني» والذي يقول بـ«اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتحرير جميع الأراضي اللبنانية من الاحتلال الإسرائيلي وبسط سيادة الدولة على جميع أراضيها...»، جاء في بيانها الوزاري: «الحكومة، في الوقت ذاته لن تألو جهداً... في العمل على تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب والبقاع الغربي بالوسائل المتاحة، ولا سيّما دعم المقاومة الباسلة...». الحكومة التي تشكلت فور انتخاب الرئيس إلياس الهراوي، كان قد جرى التفاهم على كل تشكيلتها، مع الرئيس الشهيد رينيه معوض. وكان معوض قد قال في خطاب الاستقلال: «إنني أدعوكم إلى الانضمام إلى موكب التحرير من أجل استعادة أرضنا المحتلة في الجنوب والبقاع الغربي...»!

تزوير التاريخ هو أحد وسائل ورشة شاملة لإحداث تحوُّل جذري في موقع لبنان وفي سياساته الداخلية والخارجية. وهي ستكون، كما أكدت تجارب سابقة، مغامرة خطيرة، خصوصاً إذا ما كان رهانها معقوداً، مرة جديدة، على العدو وداعمي إجرامه وجشعه وعنصريته. لقد أثارت حرب الإبادة المتواصلة موجة عالمية هائلة رافضة للمشروع الصهيوني ولارتكابات قادته وداعميهم. إن من مصلحة الشعب اللبناني الذي قدّم نماذج باهرة، ولا يزال، في الشجاعة والكرامة والمقاومة والانتصار، أن لا يكون خاضعاً أو تابعاً أو متعاوناً مع قتلة الأطفال والعمران والحياة والمستقبل.

* كاتب وسياسي لبناني

دَور زعماء الشيعة في لبنان المعاصر: مذكّرات كاظم الخليل [10]

أسعد أبو خليل *

ما يزالُ الحديثُ هنا عن مُذكّرات كاظم الخليل التي صدرت حديثاً بعنوان: «مذكّراتي: كاظم الخليل»، عن دار سائر المشرق. عداءُ كاظم الخليل للفلسطينيّين ومنظّماتهم لا يخفى في الكتاب، لكنّه يغفل أنّ الشيعة كانوا مُنضوين في صفوف هذه التنظيمات طوعاً واختياراً، تماماً كما هم اليوم منضوون، طوعاً واختياراً، في صفوف حزب الله وحركة أمل. الفكرة العنصريّة لبيار الجميّل (وحفيده سامي اليوم) تُقصي عنصر الوكالة الإنسانيّة وتفترض أنّ هؤلاء المسلمين لا يمكن لهم أن يختاروا فكراً أو ممارسة تتناقضُ مع الفكر الكتائبي الانعزالي، لأنّ ما من عاقل إلّا ويوافق على السلام مع إسرائيل وعلى العداء للقضيّة الفلسطينيّة. يعيّرُ الخليل ياسر عرفات حتى على عائلته ويقول إنّها لم تكن معروفة في فلسطين (ص. 682). الأصلُ والفصلُ دائماً مهم، في الذهنيّة الإقطاعيّة، لأنّ السلالة تمنحُ شرعيّةَ التمثيل لعائلات دون غيرها. يقول إنّ عدد المنظّمات الفلسطينيّة، حسب تعداده هو، فاقَ الخمسين، وهذا غير صحيح، إلّا إذا كان يضمّنُ في التعداد مجموع المنظّمات اللّبنانيّة والفلسطينيّة في بيروت الغربيّة في سنوات الحرب. كان عليه أن يزيد أن عدد التنظيمات في بيروت الشرقيّة كان أقلّ بكثير -وهذه ليست فضيلة- لأنّ بشير الجميّل كان يقتل المنافسين وكان بسيطر على المنظّمات المنافسة في بيروت الغربيّة والجنوب (حتى تخاله غانديّاً في هواه ومعتقده) يزهو بالتجنيد الإجباري من قبل القوّات اللّبنانيّة في بيروت الشرقيّة ويُثني على حسن تدريبها ويضيف: «وقد أعجب الخبراء الدوليّون بقدرتهم على تحمّل القتال وخبرتهم به» (ص. 683). عن أيّ خبراء دوليّين يتحدّث الخليل هنا؟ عن خبراء وصحافيّين ومراسلين شهدوا على جرائم الحرب والمجازر التي ارتكبتها التنظيمات اليمينيّة التي يشيد بها؟ هل قتال النساء والأطفال هو الذي أثار إعجاب الخليل و«الخبراء الدوليّين» الذين استشهد بهم؟

وكعادة اليمينيّين المعادين للمقاومة الفلسطينيّة، يتحدّث الخليل عن إقامة حواجز من قبل الفلسطينيّين بهدف الحماية الذاتية. وهذه الحواجز شكّلت مادة دسمة للدعاة السياديّين كي ينالوا من سمعة الشعب الفلسطيني وقضيّته. لا أذكر أنّ الحواجز كانت تضايق. والمراسل الأميركي، تشارلز غلاس، عاش في لبنان في تلك الفترة وتحدّث (قبل أيّام في يوميّاته) عن تجواله من منزله عدد المنظّمات الفلسطينيّة، حسب تعداده هو، في برمّانا إلى بيروت ويقول إنّ الحواجز لم تكن تشكّل مشكلة على الإطلاق. ثم: هل نسي الخليل أنّ التنظيمات اللّبنانيّة كانت تقيم الحواجز وتفرض الخوّات، ولم يكن هناك خوّات مفروضة أكثر من خوّات القوات اللّبنانيّة في المنطقة الشرقيّة؟

كعادته، يُبدي الخليل حساسية فائقة نحو المسيحيّين ولا يبدر عنه أيّ تعاطف مع المسلمين أو الفلسطينيّين الذين كانوا يعانون من عسف السلطة اللّبنانيّة ومن قصْف القوات الإسرائيليّة. يتحدّث عن احتلال الفلسطينيّين لأحياء العاصمة والمدن الكبيرة» (ص. 684). كانَ الشعب اللّبناني المسلم لم يكن هو الذي استعان بالقوى الفلسطينيّة لصدّ إسرائيل وصدّ الميليشيات اليمينيّة وخدمة أغراضه السياسيّة والطائفيّة أحياناً. يتحدّث عن «قلق المسيحيّين» كأنّه لم يكن لغيرهم من قلق وبخاصّة أنّ النظام اللّبناني كان غارقاً في نظام أبرتايد صارخ حتى الطائف (وليس لصالح المسلمين أو العلمانيّين). يقول إنّ مؤامرة دوليّة استخدمت الفلسطينيّين، وهذا صحيح (كما أنّ المسلمين استخدموا الفلسطينيّين لتحقيق غاياتهم الطائفيّة والمطلبيّة) لكن، في المقابل، كان هناك مؤامرة أميركيّة-إسرائيليّة استعانت بميليشيات اليمين كأدوات ولسنوات طويلة.

يبلغ من اعتناق الخليل للعقيدة الانعزاليّة أنّه رأى أنّه «تولّى المهمّة حزب الكتائب اللّبنانيّة (مهمّة صدّ المنظمات الفلسطينيّة) وأخذ على عاتقه مسؤوليّة الدفاع عن لبنان وتنظيم نفسه عسكريّاً» (ص. 684). هل يرى الخليل أنّ مجزرة السبت الأسود (التي أودت بحياة المئات قتلاً على الهويّة بناءً على الطائفة والجنسيّة) كانت من أجل الدفاع عن لبنان؟ هل يرى (لو أتيحَ له المجاز ضدّ المخيّمات الفلسطينيّة) أنّ طرْد الشيعة من النبعة ومن حي بيضون في الأشرفيّة كان من أجل الدفاع عن لبنان؟ هل رأى أنّ التحالف الدّيلي مع إسرائيل كان أيضاً من أجل الدفاع عن لبنان؟ هل يرى أنّ التنفيذ الدّيلي مع المؤامرة كانت بتنفيذ من النظام السوري، حسب الخليل. لكنّه يُغفل دور النظام السوري في إنقاذ ميليشيات اليمين من هزيمة محقّقة. وأجندته تتوضّح دوريّاً عندما يذكر اليسار باحتقار شديد ويفخر أنّه يمثّل اليمين «الذي شكّل سدّاً منيعاً في وجه المدّ اليساري في المنطقة» (ص. 684).

يتحدّث عن محاولة اغتيال أخيه، عبد الرحمن، في صور. ويجزم أنّ الفلسطينيّين والّلبنانيّة في بيروت الغربيّة هم المسؤولين. لكن المجموعة اليساريّة التي استولت على أملاك الخليل في منطقة صور كانت من اللّبنانيّين، من الذين ثاروا على زعامات الإقطاع في كلّ الجنوب. الأمر لم يكن يعني الفلسطينيّين. الذين كان لديهم الدوافع في المعارضة (لا أتحدّث عن الاغتيال هنا لأنّني لا أعلم أيّ شيء عن هويّة الجناة) ضدّ الخليل (هو أو شقيقه) كانوا شيوعيّين أو بعثيّين عراقيّين. هؤلاء هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن تقويض زعامات الإقطاع الشيعي في الجنوب. هو يقول إنّ «أكثر المنظّمات الفلسطينيّة والأحزاب فيها» كانوا مسؤولين عن محاولة اغتيال شقيقه (ص. 685). لكن متى كانت المنظّمات الفلسطينيّة وأحزاب الحركة الوطنيّة تتّفق على عمل ما، وبخاصّة أنّ التناحر كان سمة ثابتة في علاقات المنظّمات بعضها ببعض؟

أمّا أن يلوم الفلسطينيّين على اغتيال معروف سعد، فهذا يناقض التحقيق الرسمي. يقول إنّ الطلقات التي أصابت سعد لم تكن من «طلقات الجيش» وهذا غير صحيح. هناك وثيقة دبلوماسيّة أميركيّة (شباط 27-26، 1975) تذكر أنّ سعد اغتيل «بنيران الجيش اللّبناني». وجريدة «نيويورك تايمز» التي غطّت الحادثة ذكرت أنّ سعد جُرح (قبل وفاته) بـ«نيران الجيش اللّبناني»، وهذا ما ذكرته وكالة «رويترز» في حينه. هذه مراجع غير يساريّة، كي لا ينفي الخليل صحّتها على الفور نظراً إلى نفوره من كلّ ما هو يساري. حتى الأكاديمي الألماني المحافظ، ثيودور هنف، لم يبرّئ الجيش من الجريمة وتحدّث عن «قمع الجيش للتظاهرات».

لا يستطيع الخليل أن يتجاهل مجزرة عين الرمّانة لكنّه يستعمل كلمة «فدائيّة» في الإشارة إلى المنظّمة الفلسطينيّة التي كانَ يعترف («لم يكن أحد منهم ينقل سلاحاً»، ص. 686). على الأقل، يظهر أنّ الخليل لم يصدّق الرواية الكتائبيّة الجديدة أو المستجدّة عن محاولة اغتيال لبيار الجميّل في ذلك اليوم لسبب بسيط: حتى «الكتائب» لم تتحدّث عن هذا في ذلك اليوم أو اليوم التالي عن محاولة اغتيال. القصّة المختلَقة هي من خيال الكتائبيّين في السنوات الماضية فقط، لقد صدّقها كثيرون من جهات متعدّدة كان ذلك يخدم سرديّة تسويغ المجزرة ضدّ المدنيّين.

المذكّرات هذه مفيدة لأنّها تدحض فكرة أنّ الحرب كانت بين اليمين اللّبناني والفلسطينيّين. ينمّ فكر الكاتب عن حقد عميق ضدّ اليسار بكلّ أنواعه. يقول: «ساهم الشيوعيّون واليساريّون مساهمةً فعّالة بإذكاء نار الفتنة إذ وجدوا أنّ الفرصة سانحة لهم فأخذوا يزكّونها بإطلاقهم النار على الفريقيْن إذا وجدوا أنّهما ستتوقّفان عنها. كذلك ساهموا مساهمة واسعة بنهب المحلّات التجاريّة، وخصوصاً المحلّات المسيحيّة، كي ينبّئوا الحقد الطائفي بين المسلمين والمسيحيّين» (ص. 687). الكثير من المغالطات في هذه الجملة. أوّلاً، الشيوعيّون واليساريّون لم يكونوا مستعدّين للحرب مثل الميليشيات اليمينيّة التي كان الخليل متحالفاً معها. هؤلاء أعدّوا العدّة للحرب والفتنة منذ 1958 وتلقّوا السلاح مباشرة من الجيش اللّبناني ومن جهات خارجيّة. غير صحيح أنّ اليساريّين والشيوعيّين كانوا يطلقون النار على الفريقيْن لتأجيج الحرب. الذي كان يفعل ذلك كان جهاز المخابرات اللّبناني بقيادة جول بستاني عبر ميليشيا «التنظيم». كما أنّ الوثائق الأميركيّة المُفرَج عنها حديثاً تذكر كميل شمعون وكيف أنّه (عندما شغل منصب وزير الداخليّة في 1975) كان يُشعل جولات جديدة في الحرب لأنّه تاجرَ بالرأسمال المستورد. أمّا السرقة والنهب: فهذه من أفعال ميليشيات من الطرفيْن، صحيح، لكنّه كالعادة لا يذكر اعتداءات ضدّ المسلمين وينسى أن أكبر نهْب حصل في مرفأ بيروت كان على يد ميليشيا القوّات اللّبنانيّة. اليساريون والشيوعيّون غير طائفيّين ولم يسهموا - رغم أخطاء لهم - في أيّ إذكاء للفتنة الطائفيّة. جرى نهْب في الأسواق من قبل الفريقيْن واسهم فيها شيوعيون ويساريّون كما أسهم غيرهم، لكن ليس على أساس طائفي مثل ميليشيات اليمين التي انتمى كاظم الخليل إليها.

(يتبع)

* كاتب عربي
حسابه على إكس «@asadabukhalil»

«الطيور الغاضبة»... عندما حاول الإعلام سلبها وعيها

بتول بشير *

بات من الصعوبة بمكان الفصل اليوم بين مسارات الحروب والأزمات في المنطقة، وبين كثافة الإنتاج الإعلامي وما يحمله من مضامين تستهدف الوعي وتسعى إلى تغيير القناعات والسلوك، فالحرب لم تعد تقتصر على القوة العسكرية وحدها، والجانب الإعلامي كان منذ القدم من أبرز أدوات الحروب، فكيف الحال والحرب أصبحت مُركّبة وتطال جميع مناحي حياة الأفراد والمجتمعات لا سيما في الأبعاد السوسيولوجية والسيكولوجية.

وقد نشط استخدام أفلام الرسوم المتحركة القصيرة بشكل متبادل ومكثف خلال الحرب الأميركية-الإسرائيلية الأخيرة على إيران ولبنان. وفي الحالة اللبنانية، ولفهم أعمق لهذه الإنتاجات الفيديوية التي قد لا تتجاوز مدة الواحد منها دقيقة واحدة، لا بد من ربطها بالسياق السياسي للأحداث وتحديداً بالعودة إلى القرن الماضي إبان فترة الاحتلال الإسرائيلي لما سمي بالشريط الحدودي حينها، وصولاً إلى تحرير الأراضي اللبنانية عام 2000 عبر المقاومة المسلحة مدعومة بمجتمع مسلح بقناعات وخيارات وإرادة حياة. وقد انعكس ذلك الانتصار حالة وجدانية ثورية في عموم العالم العربي تجلّت في لحظة وعي وإدراك لإمكانية تحرير أراض عربية من المحتل الصهيوني بأيد وطنية، بعد عقود من البناء الذهني والمفاهيمي على تداعيات ما سمي بالنكبة الفلسطينية و«النكسة» العسكرية التي أصابت الجيوش العربية بما تُمثل، وبعدما استفحلت في الوعي العربي العام فكرة أن الكيان الغاصب المحتل لأراض عربية لا يمكن أن يُحارَب لأنه لا يُهزم.

شكّل تحرير لبنان عام 2000 نقطة تهديد لاستمرارية مشروع الهيمنة العسكرية في منطقة غرب آسيا الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية وحليفتها «إسرائيل» المغتصبة للأراضي الفلسطينية، وحلفاء آخرون، وقد عمل هؤلاء، بكل ما أوتوا من إمكانيات على ضرب النموذج الفكري لـ«المقاومة القوية» التي تمكنت من إرغام المحتل على الانسحاب من الأراضي اللبنانية بقوة السلاح. رغم أنه كان خياراً شعبياً. ومن البديهي أن تكون المنظومة الإعلامية بوسائلها المتنوعة واحدة من أبرز أدوات تصنيع وتعليب ونشر المفاهيم في المجتمع.

إنّ تأثيرات وسائل الإعلام ما زالت محل دراسة علماء الاجتماع والإعلام منذ نشاطها خلال الحرب العالمية الثانية، حيث برز استخدامها حينها في الدعاية السوداء، أو بروباغندا الحرب. وقد انقسم المفكرون في تحليل أسباب تأثيرات الإعلام الجماهيري، فمنهم من ركّز على أثر الوسيلة بحد ذاتها، بينما ركز آخرون على المضمون والمحتوى. وعند أصحاب نظرية تأثير الوسيلة الإعلامية، تصدرت جملة مارشال ماكلوهن الشهيرة «الوسيط هو الرسالة». لتأكيد أن تأثير الوسيلة في بنية المجتمع أعمق من مضمونها، وبنى عليه جان بودريار باعتقاده أن وسائل الإعلام الجماهيري أدّت إلى تحولات عميقة في حياتنا، إذ إنها باتت تحدد لنا ما يجب أن نراه. وفي المقابل، ركز بعض المفكرين على المحتوى ومن أبرزهم يورغن هابرماس، الذي اعتبر أن المضامين بمثابة «صناعة الثقافة»، وهي الصناعات الترفيهية التي تضم أنشطة السينما والتلفاز والموسيقى والإذاعة والصحف والمجلات وغيرها، واعتبر أصحاب هذه النظرية أن هذه الصناعة أدّت إلى تجيّر سطوة المصالح، وأن «الرأي العام» أصبح محصّلة لعمليات الاستمالة والتلاعب والسيطرة، كما تبدو عليه الحملات الدعائية والترويجية.

إذاً، هذه العمليات تستهدف التأثير في أفكار الناس ومعتقداتهم وهو ما يعرف بعلم الأفكار أو «الأيدولوجيا»، سواء بشكلها المحايد كما نظّر لها الكاتب الفرنسي دي تريسي أو بشكلها النقدي الذي يبرز في فكر كارل ماركس حيث يجدها «وعياً مزيفاً» عبر سيطرة الفئات النافذة على الأفكار السائدة واستخدامها لتكريس الهيمنة في النظام الاجتماعي السائد.

وما سلف يؤكد أهمية الدور الذي تلعبه الوسائل الإعلامية، سواء تأتّى ذلك من قوة الوسيلة، وهي في تطور مطّرد حيث وصلنا اليوم إلى شبكات التواصل الاجتماعي، أو من قوة مضمون الأفكار التي تحتويها، فهي بالمحصلة تسهم في تشكيل المفاهيم ما ينعكس تأثيراً في التنشئة المجتمعية بجوانبها كافة التعليمية والوطنية والسياسية والقانونية وغيرها. كما يمكن الاستفادة منها في رسم صورة الهوية الفردية وبالتالي تشكّل الوعي الجماعي، ومن أبرز وأخطر أدوارها هو الدور التعبوي في حالات الحروب. لذلك لا يمكن الاستغناء عنها في كل الفترات كأداة لبث الأفكار بهدف السيطرة على عقول الجماهير.

ومع انهيار الاتحاد السوفياتي اعتبرت الولايات المتحدة الأميركية أنها الفائزة في الحرب الباردة، وبالتالي كانت الغَلَبة لنموذجها السياسي- الاجتماعي، وكان من أبرز إفرازات تفوّق ذلك النموذج، ظهور مفهوم القوة الناعمة الذي نظّر له جوزف ناي (مساعد وزير الدفاع الأميركي) معرّفاً إيّاه بأنه القدرة على جذب الآخرين وجعلهم يريدون ما تريده. وإذا كانت القوة الصلبة تنبع من القدرات العسكرية، فإنّ القوة الناعمة تأتي من جاذبية النموذج. ويحدّد ناي أبرز جوانب تلك القوة: القيم السياسية وجاذبية الثقافة. وتقوم القوة الناعمة على مخاطبة الأفراد وليس الدول حيث تتوجّه للمجتمع المدني لخلق بيئة معجبة بالنموذج الأميركي، وتولت وسائل الإعلام والأفلام الهوليوودية مهمة الترويج لذلك النموذج، بدأً من النمط السياسي «الديموقراطي» -«والليبرالي» الاقتصادي، وليس انتهاءً بماكولات «الفاست فود» وشرب «الكولا» وليس «الجينز»، ولأن المجال لا يتسع هنا للخوض بنقاش حول حقيقة اكتفاء الولايات المتحدة في اعتماد مسار القوة الناعمة دون الصلبة، خاصة أنها شنت الكثير من الحملات العسكرية «الصلبة» في بلدان متعددة، فإن ما يهمنا هو أن مفهوم الاعتماد على أدوات الجذب تجاوز ذلك فصار أسلوباً هجومياً، وبات يعرف بنوع جديد من الحروب سمي بالحرب الناعمة. وقد استخدمت الولايات المتحدة هيمنتها على وسائل الإعلام والاتصال، وكثّفت هجماتها على المفاهيم والقيم والمعتقدات، سواء، كانت تتعلق بأنظمة الدول أو مواقف مجموعات من الأفراد ممن ينطبق عليهم أنهم ينافضون الإمبريالية والهيمنة الأميركية على الدول والشعوب الأخرى حول العالم.

ولتحقيق هيمنتها على أفكار الشعوب، تستفيد الولايات المتحدة الأميركية من سيطرتها على مؤسسات المجتمع الدولي من جهة، وسوق صناعة الإنتاجات الثقافية من جهة أخرى. فالمؤسسات الدولية، عبر «المنظمات غير الحكومية» المزروعة بكثافة في بلدان عالم الجنوب، تتبنّى النموذج الأميركي الذي يتمثّل في لازمة السعي إلى تأمين حقوق الإنسان وديموقراطية الشعوب ورفع لواء تمكين المرأة وضمان حقوق الطفل (مع أن فضائح وفظائع نموذج إبستين الأميركي تفتح الباب واسعاً على دحض وتفنيد زيف كل هذه العناوين الخادعة). أمّا الشركات الكبرى المصنّعة للمضامين الثقافية من أفلام وكتب وموسيقى وغيرها، فلم يعد مصدر قوتها الأساسي يكمن في تعدّد جنسياتها وعبور مضامينها للقارات، بل إنها استفادت من التسارع التكنولوجي والانتقال إلى مجتمع المعلومات، فتعززت قدراتها الهائلة برافعة إضافية لإنتاج ونشر تلك المضامين، فالمجتمع الحالي يقوم على مهن الإنتاج الفكري والإبداعي، حيث تسرّع التكنولوجيا إنتاج المضامين بكثافة وبكلفة أقل وتؤمن وصولها السريع إلى الجمهور «المتصل والمتفاعل» في كل زمان ومكان.

في هذا السياق الواسع من الحرب الناعمة وملحقاتها الإدراكية والمركّبة، وبالاستفادة من الوسائل الإعلامية التقليدية والجديدة، يمكننا العودة إلى الواقع اللبناني وتحديداً إلى الحملة المستمرة على فكرة «المقاومة» منذ تحرير عام 2000. ومن الأمثلة على ذلك في الفترة القريبة، ظهور مضامين إعلامية تهاجم المقاومة باستخدام لعبة «الطيور الغاضبة» خلال أسبوع واحد وفي ظل استعار العدوان الإسرائيلي على لبنان. يمكن الاستعانة بالتحليل السيميائي للتركيز على عناصر فيديو واحد تقل مدته عن دقيقة واحدة واستنباط الرسائل المفاهيمية التي تم تمريرها، والتي تنسجم مع ما قدمنا له من سعي الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي المتواصل لضرب نموذج المقاومة القوية عبر استخدام الحرب النفسية تجاه المجتمع من خلال أدوات الدعاية والتضليل.

وتهدف الدعاية إلى التأثير في سلوك الآخرين عن طريق غرس بعض الأفكار، وهي عملية نفسية تركّز على الجانب الانفعالي عند الإنسان بشكل يؤدي إلى تبنّي المضمون المطروح، وأي وضع انفعالي سيكون أكثر ملاءمة من تجيير أهوال العدوان الإسرائيلي المتجدد على لبنان؟

وقد ذهب معدّو الفيديو إلى أبعد وأعمق من مجرد المس بشخصية دينية لها دور سياسي، على خطورة ذلك، إلى مسرحة الفعل المقاوم بصورة تشدد على أنه لا تناسب بين قوّة العدو الإسرائيلي ورد المقاومة، فمنذ لحظة قرار قيادة المقاومة بالرد (مع صوتية لأمينها العام) يُظهِّر الرد ضعيفاً فيُرمى مقذوفٌ عبر «النَّفيفة» (المقلاع) على بدائيتها باتجاه أحد الأعمدة (وهي تكرار وتثبيت لفكرة سابقة استخدمت لتوهين المقاومة وتصويرها بأنها تقصف فقط أعمدة المراقبة الإسرائيلية على الحدود اللبنانية بين عامي 2023 و2024). أمّا الرد الإسرائيلي على المقذوف «البدائي»، فيأتي بخروج عشرات الطائرات من البرج نفسه لتقوم بتدمير الكثير من منازل الصفائر (الشعب اللبناني المستهدف بالقصف، تحديداً مجتمع المقاومة) ما يضطرها للهروب مذعورة بأعداد كبيرة. ولا ينفع التبرير بأن الفيلم أظهر شخصية العدو بهيئة الخنازير لأن ذلك هو واقع اللعبة، بينما ما هو أخطر: مشاهد متعددة لتثبيت تفوّق رئيس وزراء كيان العدو بتظهيره في موقع عالٍ حين أوعز بقرار الرد العنيف، فيما «العصافير الثلاثة المقاومة» مع رمزية العصائب الصفراء على رؤوسها، تركض هاربة «نزولاً» للتأكيد أن موقعها أكثر ضعفاً نسبة قدراتها الهائلة برافعة إضافية لإنتاج ونشر تلك المضامين، فالمجتمع الحالي يقوم على مهن الإنتاج الفكري والإبداعي، حيث تسرّع التكنولوجيا إنتاج المضامين بكثافة وبكلفة أقل وتؤمن وصولها السريع إلى الجمهور «المتصل والمتفاعل» في كل زمان ومكان.

إذاً، في هذا السياق الواسع من الحرب الناعمة وملحقاتها الإدراكية والمركّبة، وبالاستفادة من الوسائل الإعلامية التقليدية والجديدة، يمكننا العودة إلى الواقع اللبناني وتحديداً إلى الحملة المستمرة على فكرة «المقاومة» منذ تحرير عام 2000. ومن الأمثلة على ذلك في الفترة القريبة، ظهور مضامين إعلامية تهاجم المقاومة باستخدام لعبة «الطيور الغاضبة» خلال أسبوع واحد وفي ظل استعار العدوان الإسرائيلي على لبنان. يمكن الاستعانة بالتحليل السيميائي للتركيز على عناصر فيديو واحد تقل مدته عن دقيقة واحدة واستنباط الرسائل المفاهيمية التي تم تمريرها، والتي تنسجم مع ما قدمنا له من سعي الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي المتواصل لضرب نموذج المقاومة القوية عبر استخدام الحرب النفسية تجاه المجتمع من خلال أدوات الدعاية والتضليل.

وتهدف الدعاية إلى التأثير في سلوك الآخرين عن طريق غرس بعض الأفكار، وهي عملية نفسية تركّز على الجانب الانفعالي عند الإنسان بشكل يؤدي إلى تبنّي المضمون المطروح، وأي وضع انفعالي سيكون أكثر ملاءمة من تجيير أهوال العدوان الإسرائيلي المتجدد على لبنان؟

وقد ذهب معدّو الفيديو إلى أبعد وأعمق من مجرد المس بشخصية دينية لها دور سياسي، على خطورة ذلك، إلى مسرحة الفعل المقاوم بصورة تشدد على أنه لا تناسب بين قوّة العدو الإسرائيلي ورد المقاومة، فمنذ لحظة قرار قيادة المقاومة بالرد (مع صوتية لأمينها العام) يُظهِّر الرد ضعيفاً فيُرمى مقذوفٌ عبر «النَّفيفة» (المقلاع) على بدائيتها باتجاه أحد الأعمدة (وهي تكرار وتثبيت لفكرة سابقة استخدمت لتوهين المقاومة وتصويرها بأنها تقصف فقط أعمدة المراقبة الإسرائيلية على الحدود اللبنانية بين عامي 2023 و2024). أمّا الرد الإسرائيلي على المقذوف «البدائي»، فيأتي بخروج عشرات الطائرات من البرج نفسه لتقوم بتدمير الكثير من منازل الصفائر (الشعب اللبناني المستهدف بالقصف، تحديداً مجتمع المقاومة) ما يضطرها للهروب مذعورة بأعداد كبيرة. ولا ينفع التبرير بأن الفيلم أظهر شخصية العدو بهيئة الخنازير لأن ذلك هو واقع اللعبة، بينما ما هو أخطر: مشاهد متعددة لتثبيت تفوّق رئيس وزراء كيان العدو بتظهيره في موقع عالٍ حين أوعز بقرار الرد العنيف، فيما «العصافير الثلاثة المقاومة» مع رمزية العصائب الصفراء على رؤوسها، تركض هاربة «نزولاً» للتأكيد أن موقعها أكثر ضعفاً نسبة سابقة استخدمت لتوهين المقاومة وتصويرها بأنها تقصف فقط أعمدة المراقبة الإسرائيلية على الحدود اللبنانية بين عامي 2023 و2024). أمّا الرد الإسرائيلي على المقذوف «البدائي»، فيأتي بخروج عشرات الطائرات من البرج نفسه لتقوم بتدمير الكثير من منازل الصفائر (الشعب اللبناني المستهدف بالقصف، تحديداً مجتمع المقاومة) ما يضطرها للهروب مذعورة بأعداد كبيرة. ولا ينفع التبرير بأن الفيلم أظهر شخصية العدو بهيئة الخنازير لأن ذلك هو واقع اللعبة، بينما ما هو أخطر: التعبير، لأن الحرية هي حق ولكنها واجب ومسؤولية في آن. ومسؤولية وسائل الإعلام الاجتماعية تفرض مبدأ التوازن بين كل من الحرية والمسؤولية، لذلك فإن تمتّع وسائل الإعلام بممارسة حرّة لا يمكن أن ينفصل عن الالتزام بالموائيق والأخلاقيات، فكيف يمكن أن يندرج في إطار الحرية الإعلامية المضمون الذي يتماشى مع أهداف الحرب العسكرية للعدو الخارجي وفي ظل عدوانه؟ وهل يحق لمؤسسة أو مؤسسات إعلامية، أو شخصيات سياسية ووجوه عامة، أن تستفيد من حرية الإعلام للتوهين وإضعاف الشعور الوطني؟

* أستاذة جامعية

الحرب الكونية ضد المقاومة

الانسداد ينفجر انتكاسة للهدنة
إيران تتجاهل «مهل» ترامب

«حال التأهّب» الإسرائيلية باقية

رصدت أنظمة الرادارات الإسرائيلية، أمس، إطلاق صاروخين من إيران، قبل أن يختفي التحذير سريعاً، ويتبيّن لاحقاً، مع التحقيق في الحادثة، أن الإنذار كان خاطئاً. وتعكس هذه الحادثة مستوى الاستنفار المرتفع في الكيان، والحساسية الأمنية الشديدة التي تعيشها تل أبيب، في ظلّ ترقّب دائم لأيّ تطور أمني مع طهران. وفي السياق نفسه، كشفت «هيئة البث الإسرائيلية» أن إسرائيل كانت قد استعدّت لاستنفاف القتال ضدّ إيران، إلا أن «الهجوم الُلغي نتيجة ضغوط مارستها دول الخليج، إضافة إلى موقف مستشاري الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، الذين عارضوا الخطوة».

وفي وقت تتزايد فيه الضغوط الإقليمية والدولية لتجنّب أيّ تصعيد جديد في المنطقة، أفادت مجلة «ذي أتلانتك»، نقلاً عن مستشارين لترامب، بأن الأخير مقتنع بقدرته على تسويق أيّ اتفاق محتمل مع إيران بوصفه «انتصاراً» شخصياً وسياسياً له. وفي المقابل، نقلت المحللة العسكرية الإسرائيلية، كرميلا منشه، عن مصادر عسكرية رفيعة المستوى اعترافها بأن «إسرائيل تواجه طرقاً مسدودة على مختلف الجبهات، سواء في إيران أو لبنان أو غزة، وفي ظلّ غياب أي مؤشرات إلى اتفاقيات سياسية، يضطرّ الجيش الإسرائيلي إلى إبقاء حال التأهب والاستعداد عند أعلى المستويات».

(الأخبار)

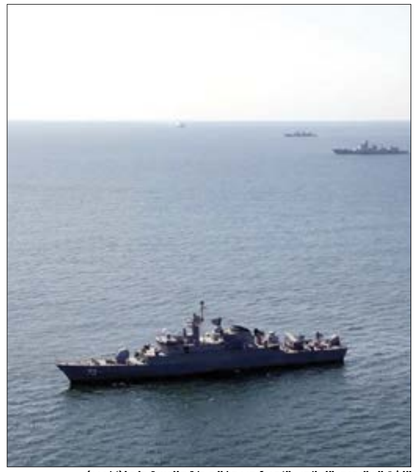

الاشتباك البحري الإيراني - الاميركي يهز الهدنة ولا يسقطها (أ ف ب)

شكّل الاشتباك البحري الأميركي - الإيراني في مضيق هرمز، ليل الخميس - الجمعة، أخطر انتكاسة لوقف إطلاق النار منذ التوصّل إليه قبل شهر. ورغم أن هذا الاشتباك جاء ليعكس الانسداد في مسار المفاوضات، والذي استمرّت المؤشرات عليه مع عدم تقديم إيران - حتى مساء أمس - ردّها على المقترح الأميركي، وتجاهلها إلحاح الولايات المتحدة على ذلك، إلا أن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، أكد أن وقف إطلاق النار لا يزال قائماً.

وأفادت وكالة «فارس» الإيرانية بوقوع اشتباكات متفرّقة بين القوات الإيرانية والسفن الحربية الأميركية في مضيق هرمز، فيما نقلت وكالة «تسنيم» عن مصدر عسكري القول إن القوات البحرية الإيرانية ردّت بإطلاق النار على انتهاك الهدنة «والإرهاب الأميركي». وأضاف المصدر أن «الاشتباكات توقفت حالياً، وأن الهدوء عاد إلى المنطقة بعد مدة من تبادل إطلاق النار»، مهدّداً الولايات المتحدة بأنها «ستتلقى رداً حاسماً مرّة أخرى إذا حاولت دخول الخليج أو مضايقة سفننا». وأوضح أن الأحداث بدأت بهجوم أميركي على ناقلة نفط إيرانية، أعقبه استهداف القوات الإيرانية سفناً عسكرية أميركية.

وفي وقت لاحق، أكد الجيش الإيراني «(أننا) أصبنا مدمرات أميركية، حاولت البحرية الأميركية إخراجها من مضيق هرمز في اتجاه بحر عمان، بصاروخ كروز و3 مسيرات، ما أدى إلى اندلاع حرائق فيها»، مبيّناً أن «عملياتنا شملت إطلاق 8 صواريخ كروز و24 مسيرة انتحارية».

أمّا في الجانب الأميركي، فأشارت «القيادة المركزية الأميركية» (سنتكوم) إلى أن قواتها «صدّت هجمات إيرانية غير مبرّرة، وقامت بالردّ عليها دفاعاً عن النفس»، وذلك بينما كانت مدمّرات تابعة للبحرية الأميركية، مزوّدة بصواريخ موجّهة، تعبر مضيق هرمز في اتجاه خليج عُمان. وأعلنت القيادة تعطيل سفينتَين فخمتان فارغتان كانتا تحاولان العودة إلى إيران، في حين أقرّت «سنتكوم» بتعرّض 3 مدمرات أميركية في البحر العربي لهجوم إيراني بصواريخ ومسيّرات وقوارب صغيرة.

أمّا الرئيس الأميركي فأكد، في تعليقه على الحادث، أن وقف إطلاق النار لا يزال قائماً، وأن التفاوض مع إيران مستمرّ أيضاً. وقال ترامب، لشبكة «إيه بي سي»، إن ما وصفه أكد أنه لن يكون للحصار الذي يفرضه «العدو» أيّ تأثير، مطمئناً إلى أن بلاده لا تواجه مشكلات في الاستيراد والتصدير، وأن جميع المنافذ البرية والبحرية لإيران تعمل بشكل طبيعي. وفي سياق الرواية الأميركية أيضاً، نقلت شبكة «فوكس نيوز» عن مسؤول أميركي أن «الإيرانيين لا يرضخون للضغوط أبداً»، مضيفاً أنه «في كلّ مرة يُطرح فيها حلّ دبلوماسي تقدم أميركا على مغامرة عسكرية متهورة».

وفي ما يتعلّق بالمفاوضات، أعلنت وزارة الخارجية الإيرانية أن «الردّ على المقترح الأميركي لا يزال قيد الدراسة. وسنعلن عنه عند الوصول إلى النتيجة النهائية»، معتبرة أن «ما حدث في مضيق هرمز كان انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي وخرقاً لوقف إطلاق النار». وكان أعلن وزير الخارجية الأميركي، ماركو روبيو، عقب لقاء في الفاتيكان مع البابا لاوون الرابع عشر، أن «واشنطن تنتظر رداً من طهران اليوم (أمس)» على مقترحها للحل، معرباً عن أمله في أن «يكون الرد عرضاً جداً». واعتبر أن «إيران تحاول السيطرة على مضيق هرمز»، واصفاً ذلك بأنه «أمر غير مقبول».

وفي ما يتصل بالوضع في «هرمز»، ذكر التلفزيون الإيراني، نقلاً عن الجيش، أن «قوات خاصة في الجيش احتجزت الناقلة أوشن كوي بناء على أمر قضائي. وزُوفقت الناقلة إلى الساحل الجنوبية الإيرانية وسُلّمت إلى السلطات القضائية»؛ علماً أن السفينة، التي تملكها شركة مسجّلة في جزر المارشال، كانت ترفع علم باربادوس.

(الأخبار)

3 جنود إسرائيليين متهمون بالتجسّس لصالح إيران

كشفت «القناة 15» العبرية عن قضية تجسّس داخلية جديدة، تتعلّق بـ4 شبان إسرائيليين، بينهم 3 جنود يخدمون في وحدات قتالية في جيش الاحتلال، متهَّمين بالتواصل مع مشغّلين إيرانيين على مدى أشهر طويلة، في وقت كان فيه بعضهم لا يزال يدرس في المدرسة التقنية التابعة لسلاح الجو. وبحسب القناة، فإن بداية القضية تعود إلى «ستوري» نشرها أحد الشبّان على «إنستغرام» يوثّق مسار خدمته العسكرية، قبل أن يطلب التواصل معه شخص إيراني. وفي ما بعد، بادر أحد أصدقائه، وهو من المتهَمين في القضية، إلى التواصل بنفسه مع الشخص الإيراني، سائلاً عمّا إذا كانت هناك «وظيفة» لديه، لتتوسّع بعدها دائرة الاتصال والتشغيل. أمّا المهام التي نُسب تنفيذها إلى المتهَمين، فتضمنت تحديد مبانٍ وشوارع وكاميرات مراقبة ومراكز تجارية، إضافة إلى قاعدة تابعة لسلاح جو الاحتلال. كذلك، أشارت القناة إلى أن أحد الشبان عرض من تلقاء نفسه تزويد مشغّليه بمواد تشمل مواقع طائرات من طراز «F-16» ومروحيات عسكرية مقابل 15 ألف شيكل، مبيّنةً أن مجموع الأموال التي حصل عليها الشبان الأربعة لقاء نشاطهم بالكامل، لم يتجاوز 7 آلاف دولار، وهو ما أثار قلقاً كبيراً داخل المؤسسة الأمنية.

(الأخبار)

بين حرب إيران ونرجسية ترامب
«الجمهوريون» يتحسّسون مأزقهم الانتخابي

علي حسن مراد

تعيش الساحة السياسية الأميركية حالاً من الغليان والترقّب غير المسبوقَين مع اقتراب موعد انتخابات «الكونغرس» النصفية، المقرّرة تشرين الثاني المقبل. إذ تجتمع التداعيات الاقتصادية السلبية الناجمة عن الحرب على إيران، مع الانقسامات الحادّة داخل الحزب «الجمهوري»، وهو ما يضع أغلبية الأخير في غرفتَي التشريع على المحكّ، ويلقي بظلاله على المستقبل السياسي للرئيس الأميركي، دونالد ترامب. ويأتي هذا فيما تتلقّى الإدارة الأميركية ضربات موجعة على صعيد الرأي العام؛ إذ أظهرت أحدث استطلاعات الرأي تراجعاً حاداً في معدلات التأييد الشعبي لترامب، التي انحدرت بشكل غير مسبوق لتصل إلى 36%، وهي النسبة الأدنى التي تسجّل منذ توليه الرئاسة الحالية، وذلك كنتيجة مباشرة للآثار الاقتصادية الثقيلة التي خلّفتها الحرب على إيران. وتشير تلك الاستطلاعات الصادرة عن مركز «بيو» (Pew Research)، إلى أن 62% من المواطنين الأميركيين يرفضون تماماً طريقة تعامل ترامب مع هذه الحرب، في حين يرى 59% منهم أن قرار اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية كان خياراً خاطئاً من الأساس.

وكان تُرجم هذا التراجع، في الغضب الشعبي الملموس في الشارع الأميركي، خاصة بعدما تجاوزت أسعار الوقود، مع تفاقم أزمة إغلاق مضيق هرمز، عتبة 4,5 دولارات للغالون الواحد. إذ أدّى ذلك الارتفاع المفاجئ، وما رافقه من تزايد في تكاليف المعيشة، إلى تبديد التأثيرات الإيجابية التي كان يُعوّل عليها «الجمهوريون» لقانون التخفيضات الضريبية الأخير، دافعاً شريحة واسعة من الناخبين - بمن فيهم 20% من قاعدة ترامب الانتخابية الصلبة - إلى الشعور بخيبة أمل عميقة، باعتبار أن ساكن البيت الأبيض يركّز جهوده على الشؤون الخارجية، فيما يتجاهل الأزمات المعيشية الملحّة في الداخل. وممّا زاد من تعقيد المشهد، افتعال ترامب أزمات جانبية، فبدلاً من التركيز على احتواء الأزمات المتفاقمة، شنّ الرئيس هجوماً على شخصيات عالمية، من مثل بابا الفاتيكان لاون الرابع عشر، فيما استمرّ في تهديد رئيس الاحتياطي الفيدرالي، جيروم باول، بالإقالة. ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل أثار ترامب غضباً واسعاً وغير متوقّع في أوساط قاعدته من الإنجيليين المحافظين، وذلك إثر نشره - ثمّ حذفه - صورة تهكّمية (ميم) شبّه فيها نفسه بالمسيح، وهو تصرُّف اعتبره مؤثّرون محافظون، على غرار إريك إريكسون، خطأً فادحاً يضرب قدرة «الجمهوري» على توحيد صفوفه.

نرجسية ترامب تضرب حزبه

علاوة على ذلك، يشنّ ترامب «حملة انتقام» شرسة لتصفية حساباته السياسية مع المشرّعين «الجمهوريين» الذين تجرّأوا على معارضة سياساته في السابق، تسبّبت باستنزاف مالي وسياسي هائل داخل أروقة «الجمهوري». وتبرز ملامح هذه الحملة بوضوح في ولاية كنتاكي، حيث ضخّت لجان ترامب أكثر من 7 ملايين دولار في حملات إعلانية للإطاحة بالنائب توماس ماسي ودعم منافسه، كما تمتدّ هذه المعارك لتشمل استهداف السيناتور، بيل كاسيدي في لويزيانا - بسبب تصويته لصالح عزل ترامب خلال ولايته الأولى -، فضلاً عن سبعة نواب صلّبين في إنديانا. وبلغ التدخُّل حدّ عرض وظيفة حكومية على مرشح في لويزيانا لإقناعه بالانسحاب وتعبيد الطريق أمام مرشحة يدعمها ترامب.

أمّا الصدام «الترامبي» مع النائب توماس ماسي، فيكتنف بعداً أيديولوجياً عميقاً يتجاوز الخلافات الشخصية، كونه يعكس مواجهة مع تيار «جمهوريّي الحرية» (امتداد لحزب الشاي) الرافض للتدخّلات الخارجية وزيادة الدَّين القومي. وتعود جذور هذا الخلاف إلى معارضة ماسي للحرب على إيران وللتخفيضات الضريبية المكلفة، فضلاً عن قيادته تحرّكاً تشريعياً أجبر وزارة العدل على نشر الملفات السرّية الخاصة بجيفري إبستين، في تحدٍّ قوي لرغبات ترامب، وهو ما يفسّر إصرار الأخير على «تطهير» الحزب من هذه الأصوات المستقلّة.

وفي سياقات أخرى حسّاسة ومتقاربة في ولايات من مثل تكساس وجورجيا، يواجه ترامب حالاً يُصطلح على تسميتها «شلل التأييد»؛ إذ يتوجّس الرئيس من منح تأييده لأيّ مرشّح خوفاً من خسارته لاحقاً، مما قد يشوّه سجلّ الرئيس الذي يتباهى بخطوات تأييد «مثالية بنسبة 100%». وأدّى هذا التردّد إلى معارك تمهيدية طاحنة قسّمت قاعدة ترامب الانتخابية، وأهدرت ملايين الدولارات التي كان يمكن ادّخارها لمواجهة المنافسين «الديمقراطيين» في الانتخابات المقبلة.

وفي خضمّ ذلك، تشير البيانات الإحصائية إلى تحوّل كبير يهدّد الأغلبية «الجمهورية» في مجلسَي الشيوخ والنواب، حيث بات سيناريو سيطرة «الديمقراطيين» عليهما أمراً ممكناً جداً، بعدما كان يبدو شبه مستحيل. وتُظهر استطلاعات الرأي العام تقدُّم «الديمقراطيين» بمعدل 5,2 نقطة مئوية (48,4% مقابل 43,2%)، فضلاً عن تمكّنهم من استقطاب مرشّحين يتمتّعون بشعبية واسعة في ولايات حمراء حاسمة، مما جعلهم ينافسون بقوة في ولايات من مثل نورث كارولينا (عبر الحاكم روي كوبر)، وأوهايو (عبر السيناتور شيرود براون)، وألاسكا (عبر النائبة ماري بيلتولا).

> يصبّ استراتيجيّو الحملات الانتخابية في «الجمهوري» إلى «التبرّؤ الهادئ» من ترامب

أمّا في ولاية ماين، فيستفيد «الديمقراطيون» من بروز المرشح غير التقليدي، غراهام بلاتنر - وهو مزارع محار وجندي سابق يقدّم نفسه كـ«شعبوي تقدّمي» -، الذي تمكّن من اكتساح الاستطلاعات أمام السيناتور «الجمهورية» المخضرمة سوزان كولينز. وتتّسع رقعة الخطر هذه لتشمل معاقل «جمهورية» أخرى من مثل تكساس، حيث يواجه المرشح «الجمهوري»، كين باكستون، تحقيقات فدرالية بتهم تتّصل بالرشوة، وأيوا التي يعوّل فيها «الديمقراطيون» على غضب المزارعين المتضرّرين من الرسوم الجمركية التي فرضها ترامب.

الجمهوريون يتبرّأون من رئيسهم

نقلت تقارير صحافية أميركية معلومات عن ميل متصاعد لدى استراتيجيّي الحملات الانتخابية في «الجمهوري» إلى ما سُمّي بـ«التبرؤ الهادئ» من ترامب، وذلك في اجتماعات مغلقة تهدف إلى إعادة صياغة خطابهم الانتخابية، وتدارك الانهيار الذي تسبّبت به سياسات الرئيس، خاصة في ظلّ الآثار الاقتصادية للحرب على إيران. وترتكز خطط هؤلاء على القضايا المحلّية والسياسات الاقتصادية المحافِظة، في محاولة لتجنُّب جعل الانتخابات النصفية «استفتاءً» على شخص ترامب وإخفاقات إدارته، وخوفاً من أن يؤدّي الارتباط الوثيق به إلى تدمير فرص مرشّحي الحزب في الدوائر التنافسية.

ويترافق ما تقدّم مع حال من «الندم الشديد» في أوساط «الجمهوريين» بسبب استراتيجيتهم الهجومية لإعادة رسم حدود الدوائر الانتخابية (Redistricting)، والتي ضغط ترامب لتنفيذها بهدف حماية أغلبية حزبه ومنع تعرُّضه لـ«عزل ثالث» في الكونغرس. إذ إن هذه الاستراتيجية جاءت بنتائج عكسية كارثية؛ فبعد تحرّكات «الجمهوريين» في تكساس، ردّ منافسوهم «الديمقراطيون» بإعادة رسم خرائط مقاطعات ولاية فرجينيا، على نحو من شأنه أن يؤدّي إلى تقلّص مقاعد «الجمهوريين» من خمسة إلى مقعد واحد فقط. وامتدّت المخاوف إلى فلوريدا أيضاً، حيث حذّر نواب بعداً أيديولوجياً عميقاً يتجاوز الخلافات الشخصية، «جمهوريون» من أن التلاعب بحدود الدوائر قد يعرّض مقاعد «الجمهوريين» الآمنة للخطر، خاصة مع تراجع دعم الناخبين اللاتينيين لـ«الجمهوري».

«فرصة أخيرة» من بوابة بكين
طهران لواشنطن: تخلّوا عن شروطكم المستحيلة

طهران - **حسين شعيتو**

قبل نحو أسبوع على الزيارة المرتقبة للرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إلى بكين في 14 و15 الجاري، حطّ وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، في بكين، في زيارة لم تبدُ منفصلة عن محاولات احتواء الانفجار الإقليمي المفتوح. فالزيارة، وإن بدت امتداداً طبيعياً للعلاقة المتنامية بين إيران والصين، حملت

> تبدو التفاصيل المتداولة في طهران، على قلّتها، متقاربة بين الأوساط العسكرية والسياسية

رسائل تتّصل مباشرة بمسار إنهاء الحرب بين إيران والولايات المتحدة، وإعادة ترتيب الأوراق في المنطقة بالشراكة مع الصين، خصوصاً في ظلّ ما أفرزته الحرب من شلل في حركة الملاحة في مضيق هرمز، بات يهدّد الاقتصاد العالمي، ويصيب الصين مباشرة. والجدير ذكره هنا أن الأخيرة تستورد نحو 15% من حاجاتها النفطية من إيران بأسعار تفضيلية ضمن «اتفاقية الشراكة الاستراتيجية الشاملة» الممتدّة لـ25 عاماً، والبالغة قيمتها 400 مليار دولار، تحت عنوان «النفط مقابل الخدمات».

وبحسب ما تسرّب من أجواء لقاءات بكين، فإن عراقجي أكد أن بلاده مستعدة لسلوك المسار الدبلوماسي مع واشنطن، ولكن ضمن «حل شامل ومتكامل» ينهي الحرب في المنطقة ككلّ. ونقل الوزير الإيراني إلى المسؤولين الصينيين استياء طهران من تعنّت واشنطن، واستمرارها في طرح شروط تدرك أنها مستحيلة التحقّق، من مثل وقف البرنامج النووي السلمي نهائياً أو نقل اليورانيوم المخضّب إلى خارج البلاد.

وفي هذا السياق، أطلع عراقجي الرئيس الصيني، شي جين بينغ، على النسخة الأخيرة من ورقة الشروط التي قدّمتها إيران قبيل زيارة وفد بلاده إلى بكين، والتي اعتبر أنها قد تشكّل «الفرصة الأخيرة» للمسار السياسي، إذا ما كانت واشنطن راغبة فعلاً في التوصل إلى اتفاق. لكن ذلك هو ما استبعده رئيس البرلمان الإيراني، محمد باقر قاليباف، في تصريحات قال فيها إن الأميركي «لم يقتنع بعد بأن الدبلوماسية والاحترام هما الطريق الوحيد لأي حلّ».

وبالفعل، لم تكد تمضي سوى 24 ساعة على تلك التصريحات حتى جاءت الإجراءات الأميركية لتؤكد التوقعات الإيرانية؛ إذ أقدم الجيش الأميركي على «اختبار ناري» استهدف ناقلة نفط إيرانية، في محاولة جديدة للتهرب من اتفاق يضمن لإيران حقوقها، تعكس الوعي الأميركي بأن أيّ اتفاق مهما كان شكله أو طبيعته، سيُعتبر هزيمةً وتراجعاً عن الأهداف العسكرية التي رفعتها الولايات المتحدة مع بدء العدوان واغتيال المرشد الإيراني الأعلى، آية الله علي خامنئي. هكذا، ورغم ما نتج من الزيارة من أجواء إيجابية، وقبل صدور الردود الإيرانية النهائية وانتقال ترامب إلى بكين، حيث يُتوقّع أن تتحرك مياه التفاوض الراكدة، بدا هذا الاستهداف بمثابة عملية جسّ نبض لإمكانية العودة إلى لغة القوة، بغية تحسين شروط التفاوض ودفع إيران إلى تقديم مزيد من التنازلات.

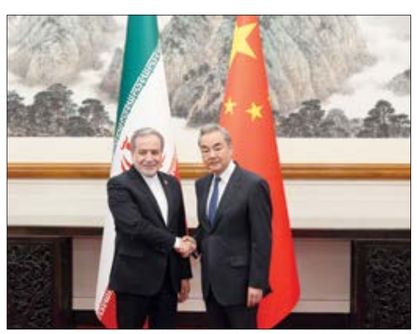

العقدة الاساسية تبقى في رفض طهران القاطع نقل اليورانيوم المخضب بنسبة 60٪ الى خارج البلاد او تذويبه (شينخوا)

إلا أن الرد الإيراني على ذلك سرعان ما جاء حاسماً وواسعاً، ومفاده أن النار ستواجَه بالنار، مهما اشتدّ الاستنزاف والحصار. ودفع هذا الردّ الإدارة الأميركية إلى إطلاق سلسلة من التصريحات عقب الاعتداء، أكدت فيها أن المناوشات التي حصلت لا تعني العودة إلى الحرب أو التخلّي عن الهدنة، وأن الأمل لا يزال قائماً في استكمال المسار الدبلوماسي. وعليه، لا يزال من الممكن الحديث عن «فرصة أخيرة» للتوصل إلى اتفاق، لا سيما مع بروز الرعاية الصينية لمحاولة إبرام صفقة أميركية - إيرانية. ومما يعزّز حظوظ هذه الرعاية، كون الصين لاعباً أساسياً على الساحة الدولية وشريكاً تجارياً رئيساً لمعظم الدول، فضلاً عن علاقاتها القوية مع إيران من جهة، وحاجة الولايات المتحدة إلى وسيط بحجمها من جهة أخرى، لا سيما مع ما يوفره موقعها في هذه الوساطة من امتيازات وضمانات أكبر وأكثر فاعلية. أيضاً، قد يسهم أيّ اتفاق محتمل في إنهاء حصول الصين على النفط الإيراني بأسعار مخفّضة، وذلك عبر إعادة بيع النفط الإيراني وفق أسعار السوق العالمية في حال رفع العقوبات، وهو شرط تسعى الولايات المتحدة إلى تضمينه في أيّ صفقة محتملة.

أما في ما يتعلق بتفاصيل الورقة الأخيرة، التي نشرت بعض المواقع الأميركية بنودها، فقد نفت إيران دقة هذه التسريبات، متحدثة عن حملة من الأخبار المضلّلة. وبمعزل عن ذلك، فإن الثوابت التي وضعتها طهران منذ اليوم الأول للعدوان لا تزال قائمة، باستثناء بعض التعديلات التي أدخلتها في محاولة لإنهاء الحروب في المنطقة عموماً، وفي مقدّمها حرب لبنان. ومن المتوقع أن توافق إيران على تجميد تخصيب اليورانيوم لمدة محدّدة، على أن تعود لاحقاً إلى البرنامج النووي السلمي بنسبة تخصيب تبلغ 3,67%. كذلك، طرأ تعديل على شرط رفع العقوبات بالكامل قبل فتح المضيق والدخول في نقاش حول البرنامج النووي؛ إذ أبدت طهران استعداداً للقبول برفع تدريجي للعقوبات وإعادة الأصول المجمّدة، بالتزامن مع فتح تدريجي لـ«هرمز» وعقد مشاورات شاملة، من بين ملفّاتها البرنامج النووي، لمدة ثلاثين يوماً. وتقتضي هذه المدة وقف الخروقات والأعمال العسكرية في المنطقة بأكملها، إضافة إلى إعلان أميركي - إسرائيلي رسمي بإنهاء الحرب على إيران.

غير أن العقدة الأساسية تبقى في رفض طهران القاطع نقل اليورانيوم المخضب بنسبة 60% إلى خارج البلاد أو تذويبه، وهو الشرط الذي لا تزال واشنطن تتمسك به باعتباره مدخلاً لأيّ تسوية. وفي الكواليس، تتقدّم أيضاً ملفات اقتصادية حساسة، يتابعها «البنك المركزي» الإيراني الذي رافق رئيسُه الوفدَ المفاوض أكثر من مرّة. ومن بين هذه الملفات عرض أميركي يقضي بشراء طائرات مدنية وقطع غيار للطيران بدلاً من الإفراج الكامل عن الأصول الإيرانية المجمّدة، إضافة إلى فتح باب استثمارات ترى واشنطن أنها خُرمت منها في الاتفاق النووي لعام 2015، فيما كانت أوروبا المستفيد الأكبر منها، وهو ما عَدّ - من جانب الأميركيين - أحد أبرز أسباب التراجع عن «خطة العمل المشتركة الشاملة».

الحرب الكونية ضد المقاومة

تسليم ضمني باستحالة «النصر الاستراتيجي»

أميركا تعرض «مذكّرة تفاهم»

يحيى دبوق

بعد نحو سبعين يوماً من المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، يبدو أن الحرب التي بدأت تحت سقف مرتفع من الأهداف الأميركية والإسرائيلية، بدأت تقترب من حدود تسوية مؤقتة، سيكون المنتصر فيها من استطاع الصمود، والمهزوم من فشل في تحقيق أهدافه المعلنة. فبدلاً من «الاستسلام غير المشروط» الذي لوّح به الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في الأسابيع الأولى، تدور النقاشات الآن حول «مذكرة تفاهم» مختصرة، مقترَحة من جانب الولايات المتحدة، تمهّد لوقف إطلاق النار وفتح مسار تفاوضي جديد، ما يؤشر إلى تراجع أميركي واضح. ورغم أن هذا التحول لا يعكس هزيمة كاملة، لكنه يكشف

> **انتقلت واشنطن من محاولة فرض الاستسلام إلى البحث عن صيغة احتواء**

حدود القوة العسكرية حين تُستخدم في مواجهة طويلة مع دولة قادرة على امتصاص الضربات والاستمرار في القتال وتحمّل الكلفة الباهظة.

صحيح أن الولايات المتحدة وإسرائيل تمكّنتا من توجيه ضربات مؤثرة إلى البنية العسكرية والنووية الإيرانية، واستهدفتا عدداً من القادة السياسيين والعسكريين والمنشآت الحساسة، إلا أن هذه النجاحات لم تتحوّل إلى نتيجة سياسية حاسمة، وفق ما أريد منها. فالنظام الإيراني بقي قائماً، والقدرات الصاروخية لم تُشلّ، كما لم تختفِ البنية التقنية والمعرفية المرتبطة بالمشروع النووي. ومع انطلاق عجلة الدبلوماسية بعد المواجهة العسكرية الشاملة، ظهرت إيران، بتأثير من صمودها في الحرب، كندّ تفاوضي أمام الدولة الواسعة النطاق. كذلك، نجحت طهران في إيجاد أداة اقتصادية فاعلة ومؤثّرة باتت في صلب الحرب وأهدافها لدى الجانب الأميركي؛ إذ إن إغلاق مضيق هرمز وتعطيل الملاحة فيه انعكسا سريعاً على أسواق الطاقة العالمية وعلى الداخل الأميركي نفسه، ما أعطى إيران سلاحاً لم يكن كثيرون يظنّون أنها ستلجأ إليه. وبنتيجة من كلّ تلك العناصر، تبدو المذكرة المطروحة حالياً من الجانب الأميركي، والتي تنتظر ردّاً إيرانياً عليها، أقرب إلى صيغة «احتواء متبادل» منها إلى اتفاق استسلام رُوِّجت له الولايات المتحدة طوال الشهرين الماضيين. فالمقترحات المتداولة حالياً تتحدّث عن تجميد طويل الأمد لعمليات التخصيب الإيرانية، وتسليم جزء كبير من مخزون اليورانيوم المخصّب، في مقابل تخفيف تدريجي للعقوبات وتهدئة إقليمية تشمل ساحات المواجهة. والبند الأخير، المُقترح أميركياً أيضاً، يؤكد ربط الساحات الذي رفضته واشنطن ابتداءً، ويعكس تحوّل الموقف من مطلب التفكيك الكامل لتحالفات طهران الإقليمية إلى إدارة التهديد ما أمكن.

كثير من البنود المطروحة اليوم تعيد، بصورة أو بأخرى، إنتاج أجزاء من اتفاق عام 2015 النووي (أ ف ب)

أما المفارقة الأبرز، فهي أن كثيراً من البنود المطروحة اليوم تعيد، بصورة أو بأخرى، إنتاج أجزاء من اتفاق عام 2015 النووي الذي انسحب منه ترامب خلال ولايته الأولى. فالمخزون النووي الإيراني الكبير الذي تطالب واشنطن الآن بتسليمه، هو نتيجة مباشرة لسنوات التصعيد التي أعقبت الانسحاب الأميركي من الاتفاق؛ كما أن أزمة مضيق هرمز الحالية جاءت في سياق الحرب نفسها التي شنّها ترامب. وهذا يعني أن جزءاً مهماً من الجهد الأميركي الحالي يتعلّق، عملياً، باحتواء تداعيات سياسات سابقة قادها ترامب، لا بتحقيق تحول استراتيجي جديد.

مع ذلك، لا تبدو طهران مستعجلة لتقديم ردّ نهائي على المقترح الأميركي. فالإيرانيون يدركون أن استمرار التوتر يضغط أيضاً على ترامب داخلياً، سواء بسبب ارتفاع أسعار الطاقة أو بسبب تراجع التأييد الشعبي لاستمرار الحرب؛ كما يدركون أن الإدارة الأميركية نفسها حريصة على تجنب الانزلاق إلى مواجهة مفتوحة وطويلة في الشرق الأوسط، خصوصاً مع اقتراب الاستحقاقات السياسية الداخلية.

ورغم رجحان السردية الإيرانية، تبقى لانتصار ترامب في الداخل الأميركي رواياتهم، التي يواجهون بها - على هشاشتها - مخالفيهم. فجزء من أنصار الإدارة يعتبر أن الحرب نجحت، على الأقل، في إبطاء البرنامج النووي الإيراني لسنوات، وتقليص جزء من القدرات العسكرية لطهران، وفرض معادلة ردع جديدة من دون الدخول في احتلال بري أو حرب شاملة طويلة الكلفة، كما حدث في العراق وأفغانستان. ويمعزل عن أن هذه الرواية تبدو بمثابة تجميل للفشل، أكثر من كونها تظهيراً للانتصار والمكاسب، فالأكيد الذي تأكد مرة أخرى أن التفوق العسكري لا يكفي وحده لصناعة انتصار سياسي. ذلك أن الحروب الحديثة لا تُحسم فقط بحجم القوة النارية، بل أيضاً بقدرة الأطراف على الصمود وإدارة الوقت، وهو ما تجيده إيران حالياً.

لذلك، تبدو المرحلة المقبلة مرشحة لأن تكون مرحلة تفاوض أكثر منها مرحلة حسم. وقد يخرج ترامب من التسوية بصورة صانع اتفاق «جيد»، فيما تحصل إيران على متنفّس اقتصادي وسياسي لا يسمح لها فقط بالحفاظ على موقعها الإقليمي، بل بتعظيمه أكثر مما كان عليه. وعلى هذه النتيجة تحديداً، يدور الصراع التفاوضي الحالي بين الطرفين، اللذين يسعى كلّ منهما إلى تحسين مكسبه النهائي، وإن كانت الغلبة الاستراتيجية، على المدى الطويل، إيرانية واضحة. ولكن المسار التفاوضي سيبقى مظلّلاً بضغوط ميدانية حتى بلوغه نهايته، من دون ترجيح استئناف الحرب الشاملة.

من حسم الصراع إلى إدارته

هكذا تبدّدت الأهداف الأولى للحرب

علي حيدر

بعدما بدأت الحرب على إيران برهانات كبرى على الحسم المتمثل بإسقاط النظام الإيراني، وفي أسوأ الأحوال دفعه إلى تفكيك ركائز قوته النووية والصاروخية، تدور الخيارات المطروحة الآن أمام واشنطن جميعها بعيدة عن تلك الأهداف، إلى حدّ بات يبدو معه وكأنّ الهدف الرئيس للحرب هو إعادة فتح مضيق هرمز. وسواءً تمّ التوصّل إلى اتفاق لا يلبّي الشروط الأميركية الأصلية، أو استمرّ الوضع القائم بما يحمله من ضغوط متبادلة، أو حتى عاد الطرفان إلى مسار الحرب، فإن القاسم المشترك بين كلّ هذه السيناريوات هو شيء واحد: العجز عن فرض تغيير جوهري في سلوك إيران أو بنيتها الاستراتيجية.

وإذ انطلقت الحملة على إيران من افتراض مفاده أن الأخيرة، تحت ضغط مُركّب من العقوبات والتصعيد العسكري والتهديد السياسي، يمكن أن تُدفع إلى تغيير سلوكها أو حتى إعادة تعريف نفسها، فإن هذه الفرضية سرعان ما اصطدمت بواقع مختلف تماماً، إذ إن الضغوط تحوّلت، بالنسبة إلى طهران، إلى جزء من بيئة استراتيجية طويلة الأمد، وهذا ما لم يدركه الأميركيون الذين يعانون قصوراً في فهم طبيعة الخصم وثقافته والمنطق الذي يحكم سلوكه وحقيقة الموقف الذي انطلق منه. وهكذا، وبدلاً من أن تُنتج أدوات الضغط تحوّلاً في السلوك، أصبحت جزءاً من المعادلة التي تديرها طهران، والتي تجمع بين الصبر الاستراتيجي، وتحمّل الكلفة، وإدارة الصراع انطلاقاً من رؤية استراتيجية تتمحور حول ثوابت عقائدية وسياسية.

وحتى في ذروة التصعيد، لم يظهر ما يدلّ على استعداد إيراني للتخلّي عن الثوابت؛ فالبرنامج النووي بقي ضمن منطق «الحق السيادي»، والتخصيب ظلّ خطاً أحمر مرتبطاً بالهوية السياسية للنظام. أمّا القدرات الصاروخية، فاستمرّت عنصراً مركزياً في معادلة الردع، فيما لم تؤدِّ الحرب إلى تفكيكها أو تقليصها بشكل حاسم. لا بل إن التقديرات الاستخباراتية الأميركية، وفق ما نُقل في «واشنطن بوست»، تشير إلى أن إيران لا تزال تحتفظ بترسانة كبيرة من الصواريخ والطائرات المُسيّرة، ما يعني أن أحد الأهداف الأساسية للحرب لم يتحقّق. وعليه، باتت الإشكالية الرئيسة أمام الولايات المتحدة، هي: «كيف نمنع إيران من الوصول إلى عتبة إنتاج السلاح النووي في مدى قريب، حتى لو لم ترد هي إنتاجه؟». في ما يعكس إدراكاً متأخراً بأن الصراع لا يمكن حسمه ضمن الوقت التي انطلق بها. في ضوء هذا الواقع، تتبلور ثلاثة سيناريوات رئيسة، ليس من شأن أيّ منها تحقيق أهداف الحرب، بقدر ما تعكس جميعها انتقالاً من السعي للحسم إلى إدارة المخاطر، منعاً لتحوّل المأزق إلى سيناريو كارثي:

تمثال لرامي السهام الأسطوري الفارسي، ارش، في طهران (أ ف ب)

أوّلاً، سيناريو الاتفاق الجزئي الذي يفرض قيوداً محدّدة على البرنامج النووي من دون تفكيكه فعلياً، وهو ما يترك لإيران هامش مناورة واسعاً، وقد يؤدي إلى نتائج عكسية عبر تخفيف الضغوط وتكريس مبدأ التخصيب، مع احتمال إعادة إدخال نقاط توتر استراتيجية كمضيق هرمز إلى ساحة المواجهة.

ثانياً، استمرار حالة «اللاحسم المُدار»، حيث تستمرّ الضغوط المتبادلة من دون انفجار شامل، مع مواصلة إيران تطوير قدراتها، لكنّ الأفق الزمني لهذا الخيار يبقى محدوداً، وذلك نتيجة مفاعيله الخطرة على الطرفين، وخصوصاً منها الاقتصادية.

ثالثاً، العودة إلى خيار الحرب، الذي كان أثبت محدوديّة جدواه؛ إذ لم يدفع إيران إلى تغيير ثوابتها، فيما يجعل ارتفاع كلفته واحتمال توسّعه تكراره أكثر خطورة وأقلّ احتمالاً لتحقيق نتائج مختلفة.

إزاء ذلك، تتقدّم مخاوف إسرائيل التي بنت جزءاً كبيراً من استراتيجيتها الإقليمية على فرضية إمكانية تغيير البيئة الاستراتيجية - سواءً عبر إسقاط النظام في إيران أو احتوائه أو إضعافه -، فيما تجد نفسها اليوم أمام واقع مختلف، إذ إن إسقاط النظام يبدو أبعد من أيّ وقت مضى، في حين أن تقييده بشكل حاسم لم يعُد خياراً مُتاحاً ضمن الأدوات الحالية. وفي المقابل، فإن كلّ السيناريوات المتبادَلة تحمل مخاطر مباشرة على الأمن القومي الإسرائيلي؛ فالاتفاق غير الكافي يعني بقاء إيران على عتبة نووية، مع موارد اقتصادية أفضل، وقدرة على إعادة بناء نفوذها الإقليمي. واستمرار الوضع القائم يعادل بيئة غير مستقرة، مع تقدّم تدريجي في البرنامج النووي وتراكم في القدرات الصاروخية. وأمّا العودة إلى الحرب، فستجرّ احتمال فتح جبهات متعدّدة، وتعرّض العمق الإسرائيلي لضغوط غير مسبوقة. وهنا، لا تنعلّق المخاوف بالتهديد المباشر فقط، بل أيضاً بتآكل القدرة على إعادة تشكيل الشرق الأوسط وفق الرؤية الإسرائيلية. فبدل بيئة إقليمية أكثر خضوعاً، يظهر واقع أكثر تعقيداً، تتداخل فيه القوى، وتتراجع قدرة الفاعلين على فرض نتائج حاسمة.

> **لم يعد هناك فعلياً أفق لتحقيق الأهداف المرسومة للحرب، بل فقط لمنع تدهور الوضع إلى سيناريو كارثي**

حماية الملاحة ذريعة للتدخّل

عين واشنطن ولندن على البحرين الأحمر والعربي

صنعاء - رشيد الحداد

تصاعد الحديث أخيراً عن تنسيق عسكري بين حكومة عدن والقوات الأميركية لتأمين الملاحة البحرية في البحرَين الأحمر والعربي، والذي صار على أجندة المباحثات التي يجريها السفير الأميركي لدى اليمن، ستيفن فاجن، مع قيادات عسكرية تابعة لتلك الحكومة، بالإضافة إلى مناقشات مماثلة تجريها السفيرة البريطانية في اليمن، عبدة شريف. وتعكس هذه التحرّكات، المتزامنة مع استمرار أزمة مضيق هرمز، مساعيَ أميركية - بريطانية لاستغلال الانقسام في اليمن، من أجل فرض حضور عسكري في الممرّات البحرية الحساسة في البحرَين المذكورَين، تحت مبرّر التنسيق والتعاون العسكريَّيْن المشتركيْن مع السلطات المُعترف بها دولياً. ويأتي ذلك على الرغم من إدراك واشنطن ولندن أن صنعاء هي صاحبة القرار في ما يتعلّق بالأمن البحري في البحرَين الأحمر والعربي، وصولاً إلى المحيط الهندي، حيث أكّدت الأخيرة مراراً، خلال الأشهر الماضية، أن أيّ تنسيق يجري بين أيّ أطراف خارجية والأطراف الموالية للتحالف السعودي، لا قيمة له في هذا الإطار.

ومع ذلك، ترى الولايات المتحدة وبريطانيا أن تنسيقهما مع حكومة عدن، حتى وإن كانت الأخيرة لا تملك سيطرة فعلية على الممرّات البحرية، يمنحهما غطاءً للتدخل تحت ذريعة حماية الملاحة البحرية ومكافحة القرصنة. وعلى الرغم من تقديم تلك الحكومة أكثر من طلب إلى واشنطن ولندن، وأيضاً إلى عواصم الاتحاد الأوروبي، لدعم قدراتها البحرية، خلال العامين الماضيين، إلا أن الاستجابة كانت في الحدود الدنيا، ولم تتجاوز تمويل برامج خاصة بالتدريب العسكري لفصائل خفر السواحل في جنوب اليمن. إلّا أنه في الأيام الماضية، أعلنت السفارة البريطانية في اليمن تقديم دعم عسكري لتلك الفصائل. وقالت السفارة، في بيان نشرته على منصّة «إكس»، إنها أدخلت زوارق الاعتراض التي أسمتها «زوارق ميون»، الخدمة، مشيرة إلى أن «هذا الدعم العسكري يأتي في إطار شراكة الأمن البحري» بين الحكومة البريطانية وحكومة عدن، موضحة أن «زوارق الاعتراض تمّ بناؤها في مصنع حضرموت للألياف الزجاجية بمساهمة وتمويل بريطانيَّيْن، وذلك لتعزيز قدرات خفر السواحل في مكافحة التهريب وتأمين خطوط الملاحة».

وفي أعقاب عدّة لقاءات أجرتها شريف مع مسؤولي حكومة عدن، تركّزت حول سبل تأمين الملاحة البحرية في مضيق باب المندب، أجرى فاجن، أكثر من لقاء مع عدد من القيادات العسكرية التابعة لـ«التحالف العربي» في جنوب اليمن. وقالت وكالة الأنباء اليمنية «سبأ» (نسخة عدن) إن وزير الدفاع في تلك الحكومة، طاهر العقيلي، بحث مع فاجن، والملحق العسكري في السفارة، شون نيوكمب، التحدّيات المرتبطة بتأمين الملاحة الدولية في البحر الأحمر، وجهود توحيد التشكيلات العسكرية، وتعزيز التنسيق العسكري لتأمين الممرات المائية. ووفقاً للوكالة، فإن العقيلي شدّد على ضرورة «دعم قدرات حكومة عدن لمواجهة التهديدات التي تشكّلها حركة الحوثيين»، وأبدى استعداده لتعزيز التنسيق مع القوات الأميركية في المنطقة لحماية طرق الملاحة البحرية.

من جهته، قال مصدر عسكري مقرّب من حكومة عدن، لـ«الأخبار»، إن «الولايات المتحدة لم تقدّم لنا أي دعم عسكري حقيقي، والهدف الأميركي هو أن تستغلّ ضعف قدراتِ البحرية التابعة للحكومة في عدن لتعزيز وجودها العسكري في البحرَين الأحمر والعربي ليس أكثر». يشار إلى أن رئيس «المجلس الرئاسي»، رشاد العليمي، الذي يتواجد في الرياض، عرض على الولايات المتحدة، مطلع شباط الفائت، مشروعاً لتدويل الوضع في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، تحت مبرّر حماية الأمن الملاحي من تهديدات «الحوثيين» وضمان تدفّق سلاسل الإمداد، وهو ما لم يلقَ استجابة وقتها أيضاً.

تأمّلات في «نقاش الساعة»

إياد البرغوثي *

أثبتت أحداث المنطقة في العقدين الماضيين، وذروتها الحرب الحالية على إيران، الأهمية المتصاعدة لدور الإعلام الذي يكاد يوازي دور السلاح. كما ازداد وضوحاً أن الحديث عن حياد وسائل الإعلام لم يعد وارداً، فهي في النهاية تعبّر عن رأي مالكها وتوجّهاته، وتبذل جهدها لإيصال رسائله. لذلك، فإنّ التقييم الحقيقي لوسيلة الإعلام تكون في مدى مهنيتها، وفي «ذكائها» في رفع نسبة مشاهديها، وذلك الذكاء، يُحسب لقناة «الجزيرة» عندما تتحدّث عن برنامج «نقاش الساعة» الذي تقدّمه هذه الأيام.

تتعقّد الأمور في الحكم على وسائل الإعلام أكثر، عندما ندرك أن صفة عدم الحياد لا تنطبق على وسيلة الإعلام فقط، بل على المشاهد أيضاً. فهو يجلس، خاصة في برامج الحوار، منتظراً سماع فكرة تروق له، ونقطة تُسجّل لصالح المحاور الذي يقف معه، ومتربّصاً بالمحاورين الآخرين، وبالتالي فإنه يرضى أو لا يرضى عن وسيلة الإعلام حسب أداء المحاورين واتجاهات النقاش، لذلك فإن موقفه من وسيلة الإعلام تكون بالعادة متأرجحة بين الصعود والهبوط.

في الإعلام المرئي، تلعب الصورة دوراً كبيراً ربما يفوق دور الأفكار المطروحة، وفي برامج الحوار، كثيراً ما يشكّل المشهد الفكرة الأولى والانطباع الأول الذي يطغى لدى المشاهد على كل ما يليه، وهذا بتقديري يتّضح كثيراً عند الحديث عن برنامج «نقاش الساعة» الذي تقدّمه «الجزيرة»، والذي أحاول الحديث عن انطباعاتي عنه، واستنتاجاتي منه، وتساؤلاتي حوله، وذلك في حدود المرات غير الكثيرة التي شاهدتها، وهي التي بالتأكيد، تبقى أقرب إلى الانطباعات والاستنتاجات الأولية، التي من البديهي أن تختلف من شخص لآخر.

يُطِلّ المشهد عادة على مجموعة من المحاورين يتغيّرون أحياناً، أو يتغيّر بعضهم، من حلقة لأخرى، لكنّ الحلقات التي صدف أن شاهدتها تكوّنت من ستة أو سبعة مشاركين من المثقّفين غير الرسميين، منهم إيراني واحد كان في كل تلك الحلقات، حسن أحمديان، الذي كما يبدو من وسائل التواصل الاجتماعي أنه حاز على إعجاب الكثيرين، وأربعة أو خمسة من العرب، وأميركي.

في الصورة إيراني واحد بدا ذكياً ومطّلعاً وأنيقاً وملتزماً بآداب الحوار، وأربعة أو خمسة من العرب ظهروا، بدرجات متفاوتة، أقلّ ذكاء، واطّلاعاً وأناقة وأقل التزاماً. ليعذرني القارئ وأصحاب الشأن، فأنا أتحدّث عن الصورة التي لا تعكس بالضرورة حقيقة الأشياء. وأميركي يأخذك المشهد غالباً بعيداً عنه، لدرجة لا تكاد تراه وتسمعه وتهتم بما قال أو سيقول، وهذا أيضاً ليس انتقاصاً منه، ولا من أهمية مَن يمثّل. لكنّ المشهد يأخذك -أو أخذني- هكذا. ومقدّم البرنامج، الذي يبدو على الأغلب مهنياً، يحصر «الصراع» ويضبط الإيقاع.

الإيراني الواحد والوحيد، يمثّل وجهة نظر بلده بحرفيّة، ويصفها كدولة تعرّضت لعدوان إسرائيلي أميركي، ويؤكّد عدم رضوخها لذلك العدوان. يشعرك أنه «قنّاص» يطلق «رصاصة» (كلمة) واحدة على الهدف فيصيبه، ولا يحتاج إلى رصاصة أخرى. أمّا الأربعة أو الخمسة العرب، فلا تبدو لديهم وجهة نظر واحدة، وأحياناً لا تبدو لديهم وجهة نظر من الأساس. غير «مناكفة» الإيراني. ليست لهم علاقة بـ«القنص» بل يظهرون متخصّصين في القصف «العشوائي» يطلقون كلّ «الرصاص» ونادراً ما يصيبون الهدف، وإن حصل ذلك فغالباً ما يكون في مرماهم هم.

بهذه الحرفية وهذا السلوك، وقف الإيراني الوحيد أمام الأربعة أو الخمسة العرب. بتلك الحرفية وذاك السلوك أيضاً. وبغضّ النظر عن ما يُقال من كلام، وحتى دون أن يسمع المشاهد شيئاً أو ينظر في فكرة، يجد نفسه متضامناً مع «الإيراني» ومتمنّياً له «السلامة»، إذ كثيراً ما تشعر كمشاهد كم هو ضروري وجود مقدّم البرنامج، ليس فقط من أجل القيام بوظيفته الأساسية، بل أيضاً من أجل الحيلولة دون ذهاب «التراشق» بالكلمات إلى مستويات أخرى.

موضوع «الواحد» الإيراني، والواحد الأميركي، وعدد من العرب، رغم أنه مفهوم من زاوية تعدّد البلدان العربية، لكنه في الوقت نفسه يحمل، أو قد يحمل، معنىً مهيناً للعرب، عندما يذهب (يشطح) العقل (والعقل يشطح أحياناً) إلى ميزان المفاضلة، ويُفهم الأمر على أن الإيراني الواحد يعادل «كتيبة» من العرب. كان من الأفضل برأيي لو تمّ الاكتفاء بعربي واحد أو اثنين بحيث يحمل كل منهما وجهة نظر مختلفة.

عندما ترى إيرانياً واحداً يتبنّى سردية دولته، ولا ترى آخر يتبنّى سردية مخالفة، ثم ترى مجموعة من العرب تتبنّى كلها السردية المناهضة لإيران ـ مع أن ذلك لا يعبّر تماماً عن الموقف الرسمي العربي، إذ تختلف دول عن أخرى في مواقفها ـ ويتم غياب أو تغييب المثقف العربي المؤيّد للموقف «الإيراني»، أو الداعم له، أو المتفهّم له على الأقل، تجد نفسك أمام مشهد مُريب، أقرب لأن يكون صراعاً (كباشاً) إيرانياً - عربياً، الغائب أو (المُغيّب) فيه هو المعتدي الحقيقي، إسرائيل وأميركا، والضحية الأساسية والأكبر فلسطين، الجوهر الحقيقي للصراع.

لا يظهر في المشهد ما يشير إلى الصراع الحقيقي في المنطقة، العدوان الإسرائيلي الأميركي على غزة ولبنان وإيران والعراق وسوريا واليمن وكل «الشرق» من جهة، والشعوب والمقاومة وإيران الذين يتصدّون لذلك العدوان من جهة أخرى، وأيّ سلبيات تنتج خلال ذلك هي بالتأكيد آثار جانبية للصراع الأساسي، من المهم أن تُعالج، لكن من المحظور أن تُعامل على أنها أساس المشكلة.

عندما يظهر المشهد وكأنه صراع عربي إيراني أو فارسي، ويتم غياب أو تغييب المثقّف العربي المؤيّد للتصدّي للعدوان، والمؤيّد لفلسطين التي ظهر «المثقّف» الإيراني وكأنه الوحيد الذي يتبنّى قضيّتها، ويدافع عن موقف بلده في الوقوف إلى جانبها، هذا فيه ظلم كبير لغالبية المثقّفين العرب والشعوب العربية، التي انحازت وتنحاز إلى فلسطين بأغلبيتها الساحقة، وتتشبّث بعروبتها في الوقت نفسه.

إنّ وصول المشهد إلى وضع يُظهر أنّ المثقّف أو الإنسان العربي عموماً، إذا كان مع المقاومة وضد إسرائيل وأميركا فهو خارج عن عروبته، هو مشهد غير حقيقي، بل مقلوب تماماً، فالوقوف ضد العدوان، هو الموقف العروبي التاريخي الذي اعتادت الشعوب العربية أن تعبّر عنه منذ بدأت قضية فلسطين، وقضية العروبة.

لو كان بين المثقّفين العرب الأربعة أو الخمسة، مثقّف واحد يتبنّى موقف المقاومة، الذي هو في هذه الحالة موقف الإيراني، ويرفض العدوان الإسرائيلي الأميركي على المنطقة، لانقلب المشهد من الأساس، من صراع «هويات» (عربي - إيراني) إلى صراع مواقف وأفكار مع فلسطين أو ضدّها. هكذا يكون الوضع أكثر تمثيلاً وأكثر مصداقية وتعبيراً عن الواقع. أو كان بالإمكان الابتعاد عن كل هذا الإشكال لو كان المشاركون في «النقاش» سياسيين رسميين ممثّلين لدول وليسوا مجرّد مثقّفين.

لقد أخفى المشهد كلياً الحدود بين المثقّف العربي والنظام، وهذا مُجحف نوعاً ما بحقّ المثقّفين.

كل الذي قلته هو وصف للمشهد كما رأيته، قبل الوصول إلى الأفكار التي تتولّد في الذهن بعد رؤية كامل المشهد، وسماع الحوار والحجج والأفكار التي تطرحها الأطراف، أو بالأحرى يطرحها الطرفان. بعد اكتمال المشهد، قد تتولّد في ذهن المشاهد أفكارٌ تعكس وضعاً لا يعبّر عن واقع الأشياء، ومغلوطة بالتأكيد، فعندما ترى إيرانياً همّه فلسطين والمنطقة والعدوان الإسرائيلي الأميركي، ومجموعة العرب همّها إيران، تخرج بنتيجة أن فلسطين وقضيتها باتتا شأناً إيرانياً لا علاقة للعرب به، ولا شأن للمثقّف العربي بالمقاومة، وأنّ عليك أن تختار بين المقاومة والعروبة. قد يكون في ذلك ذهاب أبعد من «اللازم» لاستنتاج أبعاد المشهد، لكنه برأيي يقترب من ذلك أو يكاد.

إذا وصل المشهد إلى هذه الصورة، وأمل أن لا يصل، سيكون ذلك إساءة للتاريخ العربي والفلسطيني المقاوم، وللتضحيات التي بُذلت عبر قرن من الزمان، وتجنياً على غزة وفلسطين ولبنان والعرب وكلّ الذين رفضوا الاحتلال وانتصروا لفلسطين.

* أكاديمي فلسطيني مقيم في رام الله

الحرب الكونية ضد المقاومة

جبهة خلفية في السودان
تكاتف إسرائيلي - إماراتي في تعويض الخسائر

محمد عبد الكريم أحمد

عقب دخول الحرب في السودان عامها الرابع منتصف نيسان الفائت، تعرّض «مطار الخرطوم الدولي» لهجوم بطائرات مسيّرة «متقدّمة» في الله من الجاري، في تصعيد كبير، ذكّر، من حيث النوعية والتوقيت، بشرارة انطلاق الحرب إثر هجوم ميليشيات «الدعم السريع» على «مطار مروي» في نيسان 2023، بدعم عملياتي من جيش الاحتلال الإسرائيلي. آنذاك، شكّلت «عملية مروي» امتداداً لعمليات عسكرية إسرائيلية مماثلة في أفريقيا ومناطق أخرى، وتطابقت، بشكل خاص، مع ما عرف بـ«عملية عنتبي 1976»، والتي لقي خلالها شقيق بنيامين نتنياهو مصرعه. كما أنها جاءت بغطاء سياسي من الإمارات، التي كانت تتخوّف من حسم الجيش السوداني صراعه مع «الدعم» بعد أزمة مخرجات «ورشة الإصلاح الأمني والعسكري» في آذار 2023.

وأشعلت الضربات الأخيرة سجالاً حاداً بين «مجلس السيادة السوداني» الذي اتهم إثيوبيا والإمارات بالتورط فيه، وبين الخارجية الإثيوبية التي ردّت ببيان تنفي فيه التهم السودانية، متهمةً الخرطوم، في المقابل، بدعم «حركة التمرد» في إقليم التيغراي. ومن جهتها، ردت الأخيرة ببيان تنقض فيه رواية أديس أبابا.

وممّا زاد المشهد تعقيداً، وجود اتهامات جادّة بضلوع إسرائيل في الهجوم على المطار، مما قد يشير، في حال صحّته، إلى مساع إثيوبية - إماراتية - إسرائيلية إلى إشعال «حديقة خلفية» للصراع الدائر حالياً مع إيران، كردّ فعل على «تراجع» مشروع أبو ظبي في الإقليم، وكذلك لتحقيق مكاسب إثيوبية آنية قبيل الانتخابات العامة السابعة المرتقبة مطلع حزيران المقبل - وضمان ولاية جديدة لرئيس الوزراء أبي أحمد -، جنباً إلى جنب وجود رغبة إسرائيلية في معاقبة السودان وأطراف عربية أخرى تدفع في اتجاه تسوية سياسية للحرب على إيران.

على هذا النحو، اقترن تلميح مسؤولين وخبراء إماراتيين، الشهر الماضي، إلى نية بلادهم الخروج من «جامعة الدول العربية» - عقب خطوة الانسحاب من «أوبك+» -، بإقدام بلادهم على تقديم دعم مباشر للهجمات بالطائرات المسيّرة، من الأراضي الإثيوبية، على عدد من مرافق البنية الأساسية الحيوية في السودان، ومن بينها «مطار الخرطوم الدولي». وكان الدفع الإماراتي نحو تعميق التورط الإثيوبي في السودان بدأ يتظهر، منذ كانون الأول 2025، عبر إعادة تسويق «المكون المدني»، وتمويل تشييد معسكر في إقليم بني شنقول الحدودي، وتكريسه لتدريب مقاتلين من ميليشيات «الدعم السريع»، فضلاً عن توفير تغطية جوية لأنشطة الأخيرة في الولايات الحدودية.

في المقابل، استدعى إعلان السلطات الإماراتية، في الأيام الأخيرة، تفكيك شبكات تمرير سلاح للجيش السوداني في الإمارات انتقادات لاذعة، نظراً إلى أنّه يخالف الكثير من التقارير الأممية. كما بدا هذا الإعلان وكأنه محاولة للتعمية على مطالب متصاعدة، داخل المملكة المتحدة، بفرض عقوبات على الشيخ منصور بن زايد، مالك نادي «مانشستر سيتي»، على خلفية ضلوعه المحتمل في تمرير أسلحة إلى «الدعم».

وبالعودة إلى الهجمات الأخيرة في السودان، قدّمت الحكومة الموالية لـ«المجلس السيادي»، الأربعاء، طلباً بعقد جلسة طارئة لـ«مجلس جامعة الدول العربية» على مستوى المندوبين الدائمين، متهمة الإمارات وإثيوبيا بهندسة تلك الهجمات. وإذ لم يتمّ، حتى اللحظة، تحديد موعد للجلسة، اعتبرت «الجامعة»، على لسان أمينها العام، أحمد أبو الغيط، أن «استهداف المرافق المدنية والبنية التحتية الحيوية انطلاقاً من قواعد خارج الأراضي السودانية، يمثّل تصعيداً خطيراً وتهديداً للسلم والأمن الإقليميين». ويشير الاكتفاء بالإدانات إلى ضعف فرص انعقاد الجلسة الطارئة، أو في أفضل الحالات، إصدار بيانات بروتوكولية إضافية، لا تتضمن، بالضرورة، أي إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى أبو ظبي.

عزز الجيش السوداني انتشاره العسكري قرب الحدود مع إثيوبيا (هنّ الوبب)

تراشق الاتهامات

رغم أن اتهامات الخرطوم لأديس أبابا وأبو ظبي ليست مستجدّة، إلا أنّه كان لافتاً، هذه المرة، مدى صراحتها وسرعتها، لا سيما وأنها صدرت عقب ساعات من الهجمات على مطار الخرطوم.

أمّا في القاهرة، فجاء بيان الخارجية المصري، الثلاثاء، بمثابة تصعيد إضافي ضدّ إثيوبيا؛ إذ عبّرت مصر «عن بالغ القلق والإدانة والاستهجان»، إزاء تزايد وتيرة الهجمات من أراضي إحدى دول الجوار، بما ينذر باتساع نطاق الصراع إلى محيط السودان الإقليمي، «ويجهض الجهود الحثيثة التي تقودها الولايات المتحدة داخل (الرباعية الدولية)». كذلك، لفت البيان إلى أن القاهرة «تعمل مع الشركاء من أجل تهدئة الأوضاع وتغليب الحلول السلمية»، فيما لم يتّضح بعد ما إذا كان ملفّ التصعيد في السودان مطروحاً على جدول أعمال قمة الرئيس عبد الفتاح السيسي مع نظيره الإماراتي، محمد بن زايد، التي عقدت أمس. وعلى الأغلب، تمّ بحث الملف من زاوية العمل المشترك عبر آلية «الرباعية»، وتغادي التصعيد الإماراتي «قدر الإمكان».

وردّاً على الاتهامات السودانية والمصرية، أصدرت الخارجية الإثيوبية، الثلاثاء، بياناً تؤكد فيه أنها امتنعت «عن نشر الانتهاكات الجسيمة التي ارتكبتها بعض الأطراف المتحاربة في الحرب الأهلية السودانية بحق وحدة أراضي إثيوبيا وأمنها القومي»، في إشارة، على الأغلب، إلى سيطرة الجيش السوداني على إقليم الفشقة قبل أعوام قليلة. ولفت البيان، أيضاً، إلى ما وصفه بدعم الجيش السوداني «لجبهة تحرير شعب تيغراي» التي تعمل «بتحريض من جهات خارجية تسعى إلى تحقيق مصالحها الخبيثة». وختم البيان بالتشديد على «ضرورة التوصل إلى هدنة إنسانية فورية، يليها وقف إطلاق نار مستدام، وعملية حوار وانتقال مدنية مستقلة وشاملة وشفافة، لإرساء أسس سلام دائم وعودة

> **تعمد إسرائيل إلى إلقاء «ثقلها» لتعميق الحرب على الأراضي السودانية**

الحكم المدني».

وجاء الردّ على بيان أديس أبابا، الذي اشتمل على تناقضات واضحة، أبرزها دعوته إلى «عودة الحكم المدني» - في إشارة إلى مدة تولي عبد الله حمدوك رئاسة الوزراء في السودان -، على لسان «جبهة تحرير شعب التغراي»، التي رفضت ادعاءات أديس أبابا بحق الحكومة السودانية، متهمةً الأولى بتوظيف الحرب في تسوية خلافات إثيوبية - إثيوبية.

وعبّرت الجبهة عن «قلق عميق» إزاء نمط ثابت من السلوك الذي يهدّد بجرّ إثيوبيا، وبالتالي المنطقة، إلى عدم استقرار وصراع متجدّد، معتبرة أن خطاب أديس أبابا التصعيدي وارتباطاته الخارجية والتحالفات الانتهازية مع أجندات إقليمية متضاربة - التي يختزلها -، «تعكس حسابات ضيّقة الأفق تعرّض السلام الطويل الأمد للخطر»، وأنّ «مثل هذه التصرفات لا تؤدي فقط إلى توتير العلاقات مع دول الجوار، بل تهدد أيضاً بإدخال إثيوبيا في صراعات لا تخدم مصالح شعبها». بدورها، نفت الإمارات، في بيان نقلته «رويترز» الثلاثاء، استخدام مسيرات إماراتية في ضرب مطار الخرطوم، واضعةً الاتهام في خانة «الادعاءات» التي تمثّل جزءاً من نمط لوم الآخرين» لتفادي تحميل «مجلس السيادة» مسؤولية «أعماله».

الدور الإسرائيلي

طوال الأشهر الأخيرة، حاولت وسائل الإعلام الغربية والخليجية، بالإضافة إلى بعض المنابر «المدنية» السودانية، الترويج لوجود دعم إيراني للجيش السوداني، متحدّثةً عن وقوف الأخير خلف طهران في حربها مع واشنطن وتل أبيب. على أن الاتهامات المشار إليها قوبلت بجملة من التحليلات التي تشير إلى انخراط إسرائيلي مباشر في توجيه الضربات الأخيرة إلى مطار الخرطوم، وتحديداً من مدينة بحر دار التي شكلت، في السنوات الخمس الأخيرة، جسراً لإمدادات السلاح الإماراتية لنظام أبي أحمد. ويؤشّر هذا الأمر على محاولة إسرائيل توسيع رقعة الفوضى، انطلاقاً من نقاط ارتكاز تقليدية، من مثل إثيوبيا وأرض الصومال وجنوب السودان.

وتقترن تلك المحاولات بمساع متسارعة لإعادة ترتيب الوضع الأمني في البحر الأحمر، خارج مظلّة الدول المشاطئة له، ومواجهة ما باتت الميديا الخليجية والإسرائيلية تصفه بـ«رباعية الشرق الأوسط الجديدة»، في إشارة إلى تقارب السياسات والمصالح بين كلّ من مصر وباكستان والسعودية وتركيا، واحتمالات تطوره إلى «تحالف أمني ملزم»، طبقاً لما أورده «المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية» أخيراً.

بالنتيجة، يشي وصول التنسيق بين إثيوبيا والإمارات وإسرائيل إلى هذا المستوى المتقدّم، بأن الأخيرة تعمد إلى إلقاء «ثقلها» لتعميق الحرب على الأراضي السودانية، وتقوية ميليشيات «الدعم»، وخلق بؤرة صراع عسكري مفتوح، بمشاركة دول الجوار، وبالتالي، القضاء على جميع فرص استعادة السودان لاستقراره وسيادته في المستقبل القريب، ووضع عقبة هائلة أمام الاستقرار في الدول الأخرى المطلّة على حوض البحر الأحمر كذلك.

تقرير

توجّه لتفعيل «اتفاقية التعاون»
دمشق - بروكسل: انفتاح مشروط

عامر علي

تستضيف بروكسل، الأسبوع المقبل، حواراً سورياً - أوروبياً برئاسة الممثّلة العليا لـ«الاتحاد الأوروبي» للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية كايا كالاس، ووزير الخارجية في الحكومة السورية الانتقالية أسعد حسن الشيباني، في خطوة تهدف إلى تلمّس آفاق الانفتاح الأوروبي على السلطات الجديدة في سوريا، وبحث إمكانية تطويرها. ويأتي الاجتماع المُقرّر عقده الإثنين المقبل في ظلّ انفتاح أوروبي «مدروس» على دمشق، وهو يبدو مدفوعاً بجملة اعتبارات، من بينها تنشيط برامج العودة الطوعية للاجئين السوريين إلى بلادهم، إلى جانب حسابات مرتبطة بخرائط النفوذ في الشرق الأوسط، بما يشمل مزاحمة روسيا في أحد أهمّ معاقلها التاريخية في المنطقة.

وقال «المجلس الأوروبي»، في بيان، إن الاجتماع يمثّل «فرصة لإحراز تقدّم نحو تطبيع العلاقات، وتقييم مختلف مسارات العمل المتعلّقة بدعم الاتحاد الأوروبي لجهود السلطات السورية من أجل استقرار سوريا، والتعافي الاقتصادي، والانتقال السياسي الشامل». وكان الجهاز الدبلوماسي لـ«الاتحاد الأوروبي» وزّع، في نيسان الماضي، وثيقة على الدول الأعضاء كشفت عن توجّه لفتح مرحلة جديدة من العلاقات مع سوريا، تبدأ بإطلاق حوار سياسي رفيع المستوى واستئناف الاتصالات الرسمية عبر مسارات متعدّدة، سياسية واقتصادية وأمنية. وتضمّنت الوثيقة مُقترحات لإعادة تفعيل «اتفاقية التعاون» الموقّعة بين الجانبين عام 1978 (تشمل تسهيل التبادل التجاري ومنح المُنتجات الصناعية السورية امتيازات تفضيلية لدخول الأسواق الأوروبية، في مقابل انفتاح تدريجي للسوق السورية أمام السلع الأوروبية)، إضافة إلى بنود للتعاون المالي والفني، تشمل تمويل مشاريع تنموية وبنى تحتية ودعماً لقطاعات الإنتاج، في محاولة لتعزيز اندماج الاقتصاد السوري مع الفضاء الأوروبي.

يبحث إطلاق ترتيب واضح لتسهيل عودة اللاجئين السوريين من الدول الأوروبية (هنّ الوبب)

كما ناقشت الوثيقة إعادة صياغة نظام العقوبات الأوروبية، بما يحافظ على أدوات الضغط، مع تخفيف القيود التي تعرقل التعافي الاقتصادي، إلى جانب إطلاق مسار تعاون اقتصادي أوسع، يقتضي تقديم تسهيلات جمركية وغيرها. إلى جانب ذلك، يُبحث إطلاق ترتيب واضح لتسهيل عودة اللاجئين السوريين، ومخطّط أمني يشمل تدريب الشرطة وتعزيز قدرات وزارة الداخلية والتعاون في مكافحة الإرهاب والجريمة المنظّمة، فضلاً عن دعم جهود دمج مؤسسات شمال شرق سوريا (مناطق «قسد») ضمن مؤسسات الدولة.

والملاقح في هذا الحوار أنه يأتي بعد محاولات أوروبية قادتها كلّ من فرنسا وألمانيا للانفتاح على السلطات الانتقالية في سوريا، وذلك عبر تقديم دعم سياسي ومالي، كان مشروطاً بسلسلة من الإجراءات التي تصدّرها تشكيل حكومة تمثّل جميع السوريين، ومحاربة الإرهاب، وضمان حقوق الأقليات. وهي شروط لم تلتزم بها السلطات الانتقالية، أو لم تتمكّن من تنفيذها لأسباب تتعلّق بتركيبتها التي تحظى فيها التيارات المتشدّدة بموقع قيادي متقدّم. وفي تعليقها على مسار الانفتاح الأوروبي، دعت منظّمة «هيومن رايتس ووتش»، «الاتحاد الأوروبي»، إلى استثمار هذا الحوار للضغط على السلطات السورية، واعتماد مقاربة «المزيد مقابل المزيد»، وذلك عبر ربط

> **بدا لافتاً انتشار شائعات حول إجراء تغييرات حكومية واسعة**

التعاون بتحقيق تقدّم ملموس في ملفات العدالة والمساءلة، محذّرةً من أن الالتزامات التي كان من المُفترض على السلطات الانتقالية تحقيقها «بدأت تفقد زخمها في ظلّ بيئة إقليمية ودولية مضطربة، ومخاطر متزايدة بعودة الانتهاكات». كما طالبت بالضغط لإنشاء مسارات قضائية مستقلّة وذات مصداقية لمحاسبة مرتكبي الجرائم الجسيمة من جميع الأطراف، بما يشمل توسيع صلاحيات «هيئة العدالة الانتقالية» لتغطية الانتهاكات من دون استثناء، وضمان تعاون دمشق مع آليات التحقيق الدولية، وعلى رأسها الآلية الدولية المحايدة والمستقلّة، ولجنة التحقيق الأممية. وشدّدت المنظمة، في رسالة وجّهتها إلى «الاتحاد الأوروبي»، على ضرورة إجراء تحقيقات مستقلّة في الانتهاكات التي شهدتها سوريا خلال عام 2025 (مجازر الساحل في شهر آذار ومجازر السويداء في شهر تموز)، ورفع القيود المفروضة على عمل المجتمع المدني، وضمان بيئة آمنة للمنظّمات المستقلة، إلى جانب حماية حقوق التعبير والتجمّع والتنقّل، ووقف الاعتقالات التعسّفية وأشكال القمع الأخرى.

وإذ دعت إلى إخضاع أيّ مساعدات أوروبية لآليات «رقابة صارمة»، لضمان عدم استخدامها بشكل تمييزي أو سياسي، فقد نبّهت، في الوقت نفسه، إلى ضرورة عدم الدفع نحو عودة اللاجئين قبل توافر شروط آمنة وكريمة ومستدامة.

أمّا على المقلب الداخلي، فبدا لافتاً انتشار شائعات حول إجراء تغييرات حكومية واسعة، «بما يتوافق مع الشروط الأوروبية»، الأمر الذي لم تنفِه أو تؤكّده أيّ مصادر محايدة، في وقت تناقلت فيه حسابات مقرّبة من السلطات الانتقالية نفياً لهذه الأنباء. وأيّاً كانت نتائج الحوار المزمع إجراؤه بين السلطات و«الاتحاد الأوروبي»، فإن نتائجه تبقى مرهونة بما يجري على الأرض، حيث ما زالت سوريا ترزح تحت وطأة مشاكل عميقة، بعضها يرتبط باستمرار التحريض الطائفي، وعمليات القتل والخطف على خلفية طائفية، وبعضها الآخر يتّصل بمحاولات السلطات نفسها تشديد قبضتها على مفاصل الحكم. ومن شأن ذلك أن يشكّل اختباراً حقيقياً لمدى نجاح المساعي الأوروبية الجديدة، في وقت تمّ فيه غضّ النظر عن الوجود الروسي في سوريا، والذي لم يعُد يشكّل محوراً أساسياً للحوار مع أوروبا، بعد اقتناع الأخيرة، على ما يبدو، بأن هذا الوجود مستمر.

◄ إعلانات رسمية ►

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلبت منى عبد الحليم طه الاتربي بصفتها الشخصية سند ملكية بدل ضائع للقسم 23 بلوك A من العقار /2077/ العمروسية.
للمُعترض مُراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري
يوسف شكر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب المحامي محمد علي عبد القادر التل وكيل ربيعة منيف عطا الله وربى خالد عبد الملك ووليد خالد عبد الملك ووسام خالد عبد الملك ورثة المتوفي خالد فايق عبد الملك سند ملكية بدل ضائع عن حصة المورث في العقار /2559/ عاليه.
للمُعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري
يوسف شكر

اعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلبت كاتيه طلال الرفاعي سندات بدل عن ضائع عن المقسم 4 بلوك E والمقسم 16 بلوك D من العقار /39/ منطقة مجدليا العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

اعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب يوسف عبود زخيا الدويهي بالوكالة عن انطونيوس مخايل الدويهي سند بدل عن ضائع للعقار /4484/ منطقة اهدن العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

اعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب جرجس سليمان منصور رزق سندات بدل عن ضائع للعقارات: /536/ و/539/ منطقة بشتودار عورا العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

اعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب بهجات اسكندر سرحان سند بدل عن ضائع للعقارين /2713/ مقسم 18 و/2716/ منطقة بطرام العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

انتقل الى رحمة الله تعالى المرحوم
شوقي علي جعفر

زوجته : سلطانة علي سقسوق
والده : المرحوم علي حبيب جعفر
والدته : نديمة الزين
أولاده : كريم وطارق
بناته : جنان زوجة سيمون غواندیل ورشا زوجة سكوت باكس ونور
أشقاؤه : حبيب زوجته أمل عباس والمرحوم نشأت زوجته المرحومة سلوى جعفر والمرحوم عدلي زوجته مريم شور والمرحوم رمزي زوجته جوليت سماحه
شقيقاته : لبنى زوجة محمود عقيل ونهاد زوجة المرحوم محي الدين العجان ودينا زوجة جعفر جعفر
والد زوجته : المرحوم علي سقسوق
والدتها : الحاجة مريم حلال
أشقاؤها: فيصل زوجته رجاء رضا والمهندس أحمد زوجته سامية سقسوق وفؤاد زوجته نسب بدوي والمهندس أكرم زوجته ريم الخازم والمهندس نبيل زوجته تانيا جوهر والمرحوم ناصر
شقيقات زوجته : لبنى زوجة سعد الله خليل
والمهندسة عبير زوجة المهندس أحمد خجا وهيفا
تقبل التعازي يوم السبت ٩ ايار ٢٠٢٦ للرجال والنساء في منزل الفقيد الكائن في الرملة البيضاء بناية البرفلي هيلز، الطابق الرابع وتقبل التعازي يوم الأحد الواقع في ١٠ أيار ٢٠٢٦ للرجال والنساء من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى السادسة مساء في جمعية التخصص والتوجيه العلمي - الرملة البيضاء - قرب مركز أمن الدولة.
للفقيد الرحمة ولكم أجر والثواب
الاسفون آل جعفر، سقسوق وعموم أهالي بلدتي جويا وحنويه

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 9 أيار 2026 العدد 5774

مرآة الغرب

عصيان في «بينالي البندقية»: الفنّ لن يغسل يد إسرائيل

مع تصاعد الحرب على غزة، تحوّل «بينالي البندقية 2026» إلى ساحة مواجهة سياسية وثقافية مفتوحة. احتجاجات، وإضرابات، ورسائل مقاطعة طاولت الجناح الإسرائيلي، فيما اتُّهمت إدارة الحدث الفني العالمي بتطبيع العنف عبر الإبقاء على مشاركة إسرائيل. هكذا، خرج النقاش من حدود الفن، ليمسّ دور المؤسسات الثقافية في زمن الإبادة والحروب

تظاهر مئات الناشطين المؤيدين لفلسطين يوم الأربعاء الفائت، أمام الجناح الإسرائيلي في الدورة الـ 61 من «المعرض الدولي للفنون – بينالي البندقية 2026»، احتجاجاً على مشاركة إسرائيل في المعرض الفني العالمي، متهمين المؤسسة الثقافية بالتواطؤ في الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين في غزة.

وجاء التحرّك في اليوم الأول من العروض التمهيدية للبينالي في مدينة البندقية الإيطالية، حيث قام ناشطون تقودهم مجموعة «الفن ليس للإبادة الجماعية»، بإغلاق مدخل الجناح الإسرائيلي لنحو نصف ساعة، رافعين الأعلام الفلسطينية ولافتات كُتب عليها «لا لتبييض الإبادة بالفن» و«لا لجناح الإبادة في البينالي». كما وزّع المتظاهرون منشورات وكتيبات ساخرة تنتقد قرار إدارة البينالي السماح لإسرائيل بالمشاركة في دورة 2026، متجاهلين تصاعد الإدانات الدولية لحربها على غزة.

واستهدف الاحتجاج معرض الفنان الإسرائيلي بيلو-سيميون فاينارو «وردة العدم»، الذي يُقام في موقع بديل داخل منطقة الأرسينالي، بعد خضوع الجناح الإسرائيلي الرسمي في الجيارديني لأعمال ترميم. واتهم المتظاهرون إدارة البينالي باستخدام الفن والبرامج الثقافية للتطبيع مع العنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين. وكان أكثر من 200 فنان، من بينهم مشاركون في دورة هذا العام، قد وقّعوا رسالة مفتوحة تدعو إدارة البينالي إلى استبعاد إسرائيل من المعرض الدولي لعام 2026. إلا أنّ المنظمين أبقوا على مشاركتها، في ظل انتقادات متزايدة للقرارات السياسية المرتبطة بالحدث.

تأتي هذه الاحتجاجات وسط تصاعد التوترات السياسية داخل البينالي هذا العام، الذي تحوّل إلى ساحة مواجهة بشأن الحرب الإسرائيلية على غزة ودور المؤسسات الثقافية في أوقات الحروب.

وقد شارك الفنان الجنوب أفريقي نولان أوزوالد دينيس، الذي يُعرض عمله ضمن المعرض الدولي «مفاتيح صغرى»، في التظاهرة، رابطاً بين النضال الفلسطيني وتجربة جنوب أفريقيا تحت نظام الفصل العنصري. وقال دينيس خلال الاحتجاج: «إذا كنت من جنوب أفريقيا، فأنت تعرف أن الفصل العنصري يجب أن يُحارَب، لكن الأهم أن الفصل العنصري يمكن أن ينتهي».

في المقابل، أعلن عاملون في القطاع الثقافي في البندقية عن تنظيم إضراب لمدة 24 ساعة أمس تضامناً مع الفلسطينيين. وقال أحد منظمي التحرّك: «هذا الإضراب هو رفض جماعي لتطبيع الإبادة الجماعية في الثقافة، وكذلك لظروف العمل الهشة التي يقوم عليها البينالي. معاً يمكننا أن نجعل من البينالي مساحة تُقال فيها الحقيقة».

(الأخبار)

المفكرة

«كاستنيغ أمني» في السوديكو

■ على إيقاع الكوميديا وسوء التفاهم، يلتقي عالمان متناقضان في ليلة واحدة، لتتحوّل مهمة عادية إلى سلسلة من المواقف العبثية، في مسرحية «كاستنيغ أمني» التي تعرض من 15 حتى 24 أيار (مايو)، على خشبة مسرح «المونو». العمل مقتبس من نص لجاك شامبون، وإعداد ديمتري ملكي (الصورة)، وإخراج جوزيان بولس، ومشاركة علي بليبل وجلال الشعار. تدور أحداث المسرحية حول بديع، ممثلٍ أخفق في مسيرته، وعبد، شرطيٍّ ذي طبع حاد، يجدان نفسيهما مضطرَّين لقضاء ليلة معاً في مهمة مراقبة مبنى مشبوه. وبينما يحاول أحدهما إنجاح تجربة أداء مصيرية في اليوم التالي، يتمسّك الآخر بإنجاز مهمته الأمنية، لتنشأ سلسلة من المفارقات والمواقف الساخرة. يقوم العرض على الإيقاع السريع والحوار الحاد، ويحوّل المواقف اليومية إلى مادة كوميدية، في تجربة تعتمد على التفاعل المباشر مع الجمهور ضمن أجواء خفيفة ومليئة بالمفاجآت.

«كاستنيغ أمني»: من 15 إلى 24 أيار (مايو) - الساعة 7:30 مساءً - مسرح «مونو» (السوديكو ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/202422

«رقائم» تفتح نقاشاً حول أخلاق الحرب

■ بين السياسة والأخلاق، وبين تبرير العنف ومحاولة فهمه، تفتح الحروب دائماً أسئلة تتجاوز الميدان لتطال اللغة والمفاهيم التي تُستخدم لتفسيرها أو شرعنتها. من هنا، تنظم مكتبة «رقائم» لقاء حوارياً مع الكاتب والباحث

وسام سعادة (صورة) بعنوان «الحرب العادلة وتفخيخ الأخلاق»، مساء الخميس 14 أيار (مايو)، في مساحة «أم ميرنا».

يتناول اللقاء فكرة «الحرب العادلة» بوصفها مفهوماً فلسفياً وسياسياً، وكيف يمكن للخطاب الأخلاقي أن يتحوّل أحياناً إلى أداة لتبرير العنف أو إعادة إنتاجه، في ظل التحولات والصراعات التي يشهدها العالم اليوم.

«الحرب العادلة وتفخيخ الأخلاق»: الخميس 14 أيار (مايو) - الساعة 7:00 مساءً - مساحة «أم ميرنا» (الحمرا). للاستعلام: 81/677258

فراس عنداري يستعيد الطرب المصري

■ تعود أغنيات الزمن الذهبي المصري إلى بيروت في أمسية تستعيد الطرب الكلاسيكي بكل ما يحمله من شجن ورهافة، عبر رحلة موسيقية تعبر من الأربعينيات إلى الستينيات، يحييها الفنان فراس عنداري (الصورة) على مسرح «مترو المدينة» مساء الجمعة 15 أيار (مايو).

يقدّم الفنان مختارات من أعمال كبار الطرب المصري أمثال محمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وكارم محمود ومحمد عبد المطلب، في استعادة لأجواء المرحلة التي شكّلت أحد أهم فصول الموسيقى العربية.

ويُعرف فراس عنداري بكونه مغنّياً وملحّناً لبنانياً يطوّر لغة موسيقية معاصرة تنطلق من التراث العربي الكلاسيكي، مستنداً إلى المقامات والبنى الموسيقية التقليدية من دون اللجوء إلى الاقتباس من أنماط موسيقية أخرى. وقد تتلمذ على أيدي عدد من أساتذة الموسيقى التراثية، وأتقن العزف على العود وآلات موسيقية متعددة، ليصبح من بين قلّة تواصل العمل على هذا النوع الموسيقي غناءً وعزفاً وتلحيناً وتعليماً.

«ليلة طرب مع فراس عنداري»: 15 أيار (مايو) - الساعة 9:00 مساءً - «مترو المدينة» (كليمنصو). للاستعلام: 76/309363

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 9 أيار 2026
العدد 5774 السنة العشرون
Samedi 9 Mai 2026 nº 5774 20ème année

3-2

علويّو سوريا... ألف عام من العزلة

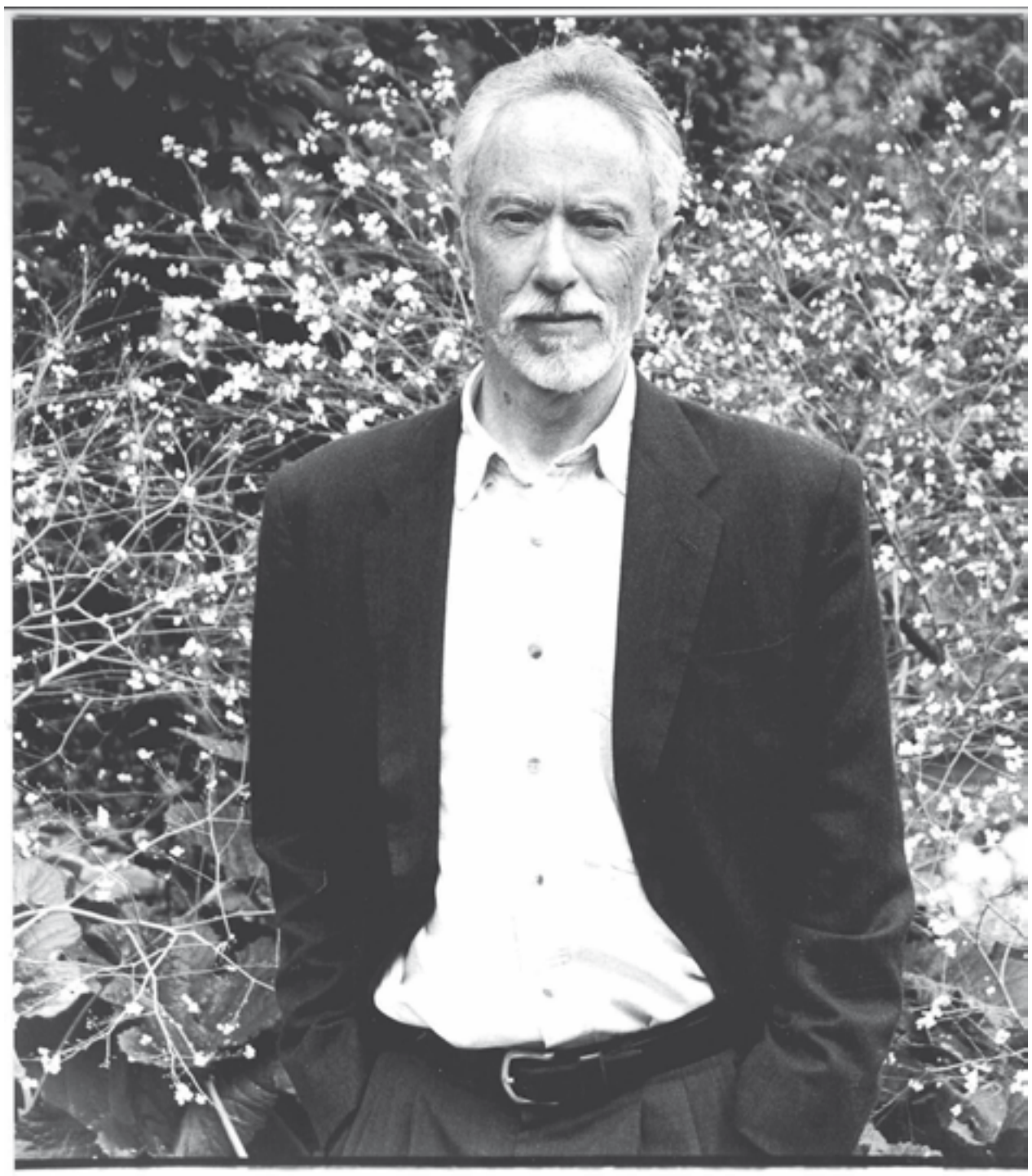

ج. م. كوتزي
اكتشف (حقيقة) إسرائيل

سعيد محمد

لا تلبث دائرة المقاطعة الثقافية لإسرائيل في الغرب تتسع لتشمل أسماء أدبية وفنية بارزة تتعامل مع المشاركة في الفعاليات الإسرائيلية بوصفها عبئاً أخلاقياً. على أن الكاتب الجنوب أفريقي وحائز «نوبل» ج. م. كوتزي (86 عاماً) لم يكتف برفض حضور «مهرجان الكتّاب الدولي» في القدس المحتلة (25 إلى 28 أيار/ مايو) بسبب «حملة الإبادة الجماعية في غزة» التي تشنها الدولة العبرية، وإنما كتب رسالة شديدة إلى المنظمين أدان فيها المجتمع الإسرائيلي برمته، قائلاً: «على مدى العامين الماضيين، كانت دولة إسرائيل تشن حملة إبادة جماعية في غزة غير متناسبة بشكل كبير مع الاستفزاز القاتل في 7 أكتوبر 2023، ويبدو أن هذه الحملة، التي نفذها الجيش الإسرائيلي، حظيت بدعم حماسي من الغالبية العظمى من سكان إسرائيل. لهذا السبب، لا يمكن لأي قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي، بما في ذلك مجتمعه الفكري/ الثقافي والفني، أن يدعي أنه لا ينبغي أن يتحمل مسؤولية الجرائم في غزة ».

كوتزي الذي ولد في جنوب أفريقيا تحت نظام الفصل العنصري ويعيش في أستراليا، يعد تقليدياً من مؤيدي إسرائيل، وكان قد قبل «جائزة أورشليم» الإسرائيلية (1987) بعد سنوات قليلة من مذابح صبرا وشاتيلا في بيروت. وقد أشار إلى ذلك في رسالته فكتب: «حتى وقت قريب، كانت إسرائيل تتمتع بدعم واسع في الغرب. كنت أعتبر نفسي من بين هؤلاء المؤيدين: كنت أكرر لنفسي أن ثمة وقتاً قادماً بالتأكيد عندما يغير الشعب الإسرائيلي نهجه ويحقق نوعاً من العدالة للفلسطينيين الذي استولى على أرضهم. وبهذه الروح، زرت القدس في عام 1987 لتسلم جائزة أورشليم، لكن حملة الإبادة في غزة غيرت كل شيء ».

وأضاف: «لقد أدار أصدقاء إسرائيل القدامى وجوههم مستائين من تصرفات الجيش الإسرائيلي، وسيستغرق الأمر سنوات طويلة كي تغسل إسرائيل العار الذي لحق بها، بافتراض رغبتها في ذلك، وأن تعيد تأسيس نفسها في المجتمع الدولي».

موقف كوتزي المفاجئ لم يصفع وجه الدولة العبرية فحسب، وإنما أثار الانزعاج في المؤسسة الثقافية للغرب الليبرالي كلها. هذا كاتب احتفى العالم بلغته التي تشكلت في ظل نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وتُدرَس أعماله في جامعات الغرب الكبرى ضمن الأدب الأنغلوساسكوني المعاصر كنماذج في العلاقة بين السلطة والعنف والشعور بالذنب الشخصي، وتوِّج بكل جوائز الأدب المرموقة. لذلك، أتى امتناعه عن قبول دعوة المهرجان أشبه بانشقاق داخل الطبقة الثقافية التي تنتج الهيمنة الرمزية للغرب وتمنح فظائعه تغطية أخلاقية، وورطة تامة لأصدقاء إسرائيل الذين لم تعد لديهم رفاهية تأجيل الاختيار بين الصورة والمرآة: صورة إسرائيل المرسومة بعناية؛ دولة حديثة، خضراء، ديمقراطية، بقيم غربيّة تقيم مهرجانات أدبية دولية تناقش قضايا الحريات وحقوق الإنسان في العالم... والمرآة: الدولة اليهودية التي عرّتها حرب الإبادة في غزة؛ منظومة فصل عنصري ودِيني تمارس إبادات متعددة الأشكال منذ التأسيس، وتستخدم التجويع سلاحاً، وتقتلع العائلات من جذورها في الضفة الغربية بموافقة المحكمة العليا، وتغتال الشعراء والروائيين والأطباء والصحافيين، وتحكم على الأسرى بالإعدام.

فضيحة إسرائيل المحرجة لأصدقائها ليست اليوم في أنّ كاتباً بمكانة كوتزي امتَنع عن حضور المهرجان. الفضيحة في أنّ كوتزي تحديداً اضطر للامتناع. فهذا المثقف الذي رفع كأس الخمر في احتفال تسلم «جائزة أورشليم» قبل أربعين عاماً، بدا كأنه اكتشف للتو أن الكأس التي شربها حينذاك كانت مخلوطة بدماء الفلسطينيين والعرب.

ملف

بعد التحولات الجذرية التي شهدتها سوريا على إثر سقوط نظام بشار الأسد في كانون الأول (ديسمبر) 2024، برز فراغ سياسي وهوياتي عميق، خصوصاً لدى الطائفة العلوية التي ارتبط حضورها طويلاً ببنية السلطة. وفي هذا السياق، أصبحت دراسة العلويين ضرورة بحثية لفهم تاريخ الطائفة وتحولاتها الاجتماعية والسياسية واستشراف موقعها بعيداً عن إرث الحكم. ويقدّم هذا المقال لمحة تاريخية عن العلويين وأبرز الكتب والدراسات الصادرة حولهم منذ سقوط نظام الأسد

علويّو سوريا... ألف عام من العزلة

مروة جردي

تشكّلت الصورة الأكاديمية والسياسية عن العلويين عبر نحو ثلاثة قرون ونصف، مع كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن السابع عشر، وانتهاء مع مراجعات نقدية أعادت قراءة تاريخ الطائفة ونصوصها الداخلية في القرن الحادي والعشرين.

خلال هذه المسيرة الطويلة انتقلت العلوية من كونها «لغزاً شرقياً غامضاً» لجماعة استوطنت الجبال في المخيلة الأوروبية، إلى موضوع أكاديمي يخضع لمناهج التاريخ والنقد، ثم إلى قضية سياسية مرتبطة بالدولة السورية الحديثة.

علويون أم نصيريون؟

ظلّت تسمية «النصيريين» شائعة في المصادر العثمانية والأوروبية حتى القرن التاسع عشر، نسبة إلى محمد بن نصير المرتبط بنشأة المذهب، بينما كان اسم «العلويين» هو التسمية المتداولة داخل الطائفة للدلالة على هويتها الدينية المرتبطة بالولاء لآل البيت. لذلك، لا تُعدّ هذه التسمية اختراعاً سياسياً حديثاً كما رُوّج لاحقاً، بل تعبيراً ذاتياً قديماً عن الانتماء المذهبي. ومع عشرينيات القرن العشرين، برز خطاب علوي داخلي سعى إلى إعادة كتابة تاريخ الطائفة من منظورها الخاص، مؤكداً انتماءها إلى التشيع ورافضاً وصف «النصيريين».

أدب الرحلات يقتحم عزلة الجبال

في تتبع آثار العلويين، نجد أن ذكرهم بعيداً عن النصوص الدينية لأعلامها بدأ عبر أدب الرحلات القائم على الملاحظة وتسجيل الانطباع. صُوِّروا بوصفهم جماعة جبلية معزولة تعيش في جبال الساحل السوري، تحيط بها السرية والغموض الديني.

ومن خلال هذه الانطباعات، تشكّلت باكراً الصورة الاستشراقية النمطية عن العلويين، القائمة على مفاهيم «التقية» و«الباطنية» والانغلاق.

وخلال القرن الثامن عشر، بدأت تظهر إشارات إلى «العلوية» كهوية دينية داخلية تختلف عن التصنيفات اللاهوتية التقليدية، مع محاولات لإدراجها ضمن الفرق الإسلامية ذات النزعات الباطنية والغنوصية.

ثم شهد القرن العشرون تحولاً مهماً مع صدور فتوى الحاج أمين الحسيني عام 1936 باعتبار العلويين من المسلمين، قبل أن يكرّس الإمام موسى الصدر لاحقاً الاعتراف بالعلوية بوصفها أحد المذاهب الشيعية.

في المقابل، رسخت كثير من الكتابات الغربية صورة العلويين كجماعة مغلقة ومنفصلة عن الإسلام، في حين أثّرت لاحقاً في الخطابين القومي العربي والعلوي معاً.

«مسيحيون انقطع عنهم التبشير!

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهرت شهادات لأشخاص ادّعوا كشف أسرار العقيدة العلوية بعد اعتناقهم المسيحية، فتعامل معها بعض الباحثين الأوروبيين كمصادر أساسية لفهم الطائفة، رغم ما حملته من تحيزات دينية وسياسية. وبالتوازي، روّجت البعثات التبشيرية لفكرة أن العلويين هم في الأصل «مسيحيون ضلّوا الطريق» أو «مسيحيون انقطع عنهم التبشير» بسبب عزلتهم في جبال الساحل السوري.

ومن هنا، تشكّلت سلسلة من التصورات والأساطير حول أصول العلويين؛ فظهرت قراءات تعتبرهم بقايا ديانات سورية أو فينيقية قديمة اختلطت بالإسلام، بينما رأت أخرى أنهم جماعة ذات جذور مسيحية شرقية تأثرت بالتشيع عبر الزمن. ومع بدايات القرن العشرين، تحولت هذه التصورات إلى فرضيات أكاديمية وسياسية، خصوصاً في ظل الانتداب الفرنسي وإنشاء كيان خاص بالعلويين، ما جعل النقاش حول هويتهم جزءاً من السياق الاستعماري نفسه.

عودة المارق العلوي

مع وصول حزب «البعث» إلى السلطة في سوريا، انتقل الاهتمام بالدراسات العلوية من البحث في العقيدة والطقوس إلى تفسير صعود العلويين داخل الجيش والدولة. ظهرت قراءات تربط ذلك بالتهميش الريفي والحراك الاجتماعي عبر المؤسسة العسكرية، مقابل أخرى اختزلت النظام السوري في كونه «حكماً علوياً» قائماً على التضامن الطائفي.

وفي السبعينيات، برزت أزمة الشرعية الدينية للنظام، مع اشتراط أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً، فجرى تقديم العلويين رسمياً بوصفهم جزءاً من التشيع الاثني عشري. وقد رأى كثير من الباحثين في هذه الخطوة إعادة صياغة سياسية للهوية أكثر من كونها تحولاً عقائدياً فعلياً.

لكن مع نهاية القرن العشرين، بدأت مراجعات أكاديمية واسعة نسفت من الصور النمطية القديمة، مؤكدة أنّ العلويين تيار نشأ وتطور داخل البيئة الإسلامية الشيعية، لا بقايا ديانة وثنية أو جماعة مسيحية معزولة. غير أن سقوط النظام السوري أعاد الطائفة إلى مأزق تاريخي قديم، حيث عاد سؤال «من هم العلويون؟» ليتحوّل من نقاش أكاديمي إلى قضية وجودية وسياسية، دفعت كثيرين إلى محاولة شرح هويتهم وعلاقتهم بالنظام السابق تجنباً للتعميم أو الإقصاء أو الاستهداف الجماعي.

بين التكفير والمجاز والتهجير

يفتح الصحافي والكاتب نبيل صالح بوابة مغايرة تماماً. في كتابه الجديد «العلويون: ألف عام من العزلة» (دار الرافدين)، يحاول مقاربة ما يسميه «المأزق التاريخي» للعلويين، حيث «يعيدون إنتاج محنتهم بين التكفير والمجاز والتهجير».

من هذا المنطلق، يسعى الكتاب إلى إعادة قراءة تاريخ الطائفة التي عاشت قروناً من العزلة السياسية والاجتماعية والثقافية، وإخراجها من كادر «الطائفة» التي ارتبط اسمها بالسلطة والجيش لعقود، ليعيد تقديمها كـ «فلسفة حية متمردة». يغلب على الكتاب الطابع الاستقصائي والتوثيقي، فهو عبارة عن أنطولوجيا وشهادات جمعها الكاتب من مصادر متنوعة.

يشير عنوان الكتاب إلى حالة «الغيتو» الجغرافي والثقافي الذي فُرض على العلويين أو اختاروه لقرون، ويحاول الكاتب من خلاله إخراج المخفي في هذه الثقافة إلى الضوء السوري العام. يقدّم صالح قراءة تاريخية وفكرية لمسار العلويين، مركزاً على أثر العزلة الجغرافية والمذهبية في تشكيل هويتهم. ويتتبع وجودهم في جبال الساحل السوري منذ القرن التاسع الميلادي، مستنداً إلى مصادر تراثية ونصوص عقائدية حديثة، كما يتناول حضورهم التاريخي في جبل لبنان والأناضول، حيث تشكّلت طرق وتيارات علوية مثل الكتكاشية والقلندرية التي لعبت أدواراً دينية وعسكرية داخل الدولة العثمانية.

على امتداد 280 صفحة موزعة على 28 فصلاً، يحاول الكتاب الإجابة عن سؤال: كيف يمكن فهم العلوية خارج ثنائية التكفير أو التوظيف السياسي؟ يقدّم صالح العلوية بوصفها «مشروع تحرر باطني» تشكل داخل التجربة الإسلامية، معتبراً أن المقاربات السنية والشيعية التقليدية أخفقت في فهمها لأنها قرأتها بمعايير مذهبية مسبقة لا من داخل بنيتها الخاصة. لذلك، لا يتردد في نقد عدد من الدراسات والكتابات التي يرى أنها تعاملت مع العلويين كـ«أسطورة» أو كجماعة خارجة عن الإسلام، بدل دراستهم كظاهرة دينية واجتماعية تاريخية.

من أبرز فصول الكتاب ذلك الذي يتناول العلويين خلال حكم بشار الأسد، إذ يقدّم قراءة مختلفة للعلاقة بين الطائفة والسلطة، معتبراً أن قطاعات واسعة من العلويين رأت نفسها تدافع عن الدولة لا عن نظام سياسي بعينه، في وقت كانت فيه البيئة العلوية نفسها تعاني التهميش الاقتصادي والثقافي لصالح شبكات ضيقة مرتبطة بالسلطة. ويرى صالح أنّ لحظة انهيار النظام عام 2024 كشفت نهاية العلاقة التاريخية بين العلويين والسلطة، وهي علاقة يصفها بأنها كانت «وسيلة بقاء» أكثر من كونها مشروع هيمنة.

ويكتسب الكتاب أهميته أيضاً لأنه يأتي بعد سنوات من هيمنة المقاربات السياسية والأمنية على دراسة العلويين، سواء في إصدارات مراكز أبحاث معارضة مثل «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» و«مركز حرمون للدراسات المعاصرة»، أو في كتابات ذات طابع ديني واستشراقي تعاملت مع الطائفة بوصفها «لغزاً» أو «أسطورة». لذلك، يحاول صالح تقديم قراءة مختلفة تنظر إلى العلويين كجماعة تاريخية وروحية واجتماعية عاشت داخل الدولة السورية أكثر مما حكمتها.

مرحلة ما بعد الأسد: من المعنى إلى السياسة

شكّلت مسألة الأقليات في سوريا، وعلى رأسها المسألة العلوية، أحد أكثر الملفات حضوراً في اهتمام الدراسات السياسية المعاصرة.

لكن هذا الاهتمام لم ينطلق غالباً من البعد الديني أو الفكري للطائفة، بقدر ما ارتبط بعلاقتها المعقدة بالسلطة وبنية الدولة السورية الحديثة. وهكذا انتقلت العلوية من موضوع لاهوتي وإثنوغرافي يبحث عن المعنى إلى قضية سياسية تُقرأ من زاوية علاقتها بالسلطة والطائفية والأمن بعد صعود العلويين داخل المؤسسة العسكرية ثم سقوط نظام الأسد.

في هذا السياق، تعاملت غالبية الدراسات الحديثة مع العلويين بوصفهم «مشكلة سياسية» أكثر من كونهم جماعة دينية وتاريخية ذات تطور فكري وروحي خاص.

ومن أحدث هذه الدراسات، دراسة سارة أبو العزم المنشورة في العدد الأربعين من مجلة «قضايا ونظرات» (2026) تحت عنوان «العلويون بعد بشار: سياسات النظام الجديد ومواقف الداخل والخارج». رغم أهمية الدراسة في مقاربة التحولات السياسية بعد سقوط النظام، فإنها تميل إلى مقاربة أمنية-دولتية تُشرعن السلطة الجديدة وتختزل «المسألة العلوية» في ملف استقرار وتمرّد، مع تبسيط نسبي لتنوع المجتمع العلوي وتعقيداته الداخلية.

أما الدراسة الثانية، فهي تقرير فيصل الحجي الصادر عن «مركز الحوار السوري» بعنوان «الوضع العام في منطقة الساحل بعد نصف عام من سقوط نظام الأسد» (2025). يقدّم التقرير وصفاً تفصيلياً للتحولات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية في الساحل السوري، مع التركيز على ملف «الفلول» والعنف الطائفي وجهود السلطة الجديدة في فرض الاستقرار. ورغم غناه بالمعلومات والتفاصيل الميدانية، فإنه يدوره يعاني من انحياز سياسي ولغوي واضح، وهيمنة المقاربة الأمنية، مع ضعف التوازن في عرض وجهات النظر وغياب إطار تحليلي أكثر حياداً وعمقاً.

تتقاطع هذه الدراسات، مع الملاحظة التي يطرحها نبيل صالح في كتابه «العلويون: ألف عام من العزلة»، حين يشير إلى أنّ المقاربات الحديثة اختزلت العلويين في علاقتهم بالدولة والأجهزة العسكرية، متجاهلة الجذور الفكرية والروحية التي شكّلت تاريخ الطائفة عبر قرون. بهذا المعنى، تبدو كثير من الدراسات المعاصرة كأنها تتعامل مع العلويين بوصفهم ظاهرة سياسية وُلدت مع السلطة خلال العقود الأخيرة، لا جماعة دينية واجتماعية سبقت الدولة السورية الحديثة بقرون طويلة.

في التاريخ المعاصر

ينطلق كتاب «العلويون في التاريخ السوري المعاصر (1918-2024)» لمنير شحود (راجع مقابلتنا معه في مكان آخر من الصفحة) من إعادة قراءة تاريخ سوريا عبر دور النخب العلوية في تشكيله منذ مرحلة الانتداب الفرنسي وحتى سقوط النظام عام 2024، مع افتراض أن هذا الدور لم يُدرس بالقدر الكافي من الواقعية، بسبب هيمنة سرديات قومية عربية حجبت تفاصيل أساسية وأسهمت في إنتاج إشكالات تاريخية ما زالت ممتدة حتى اليوم.

ويعيد شحود قراءة محطات مفصلية في تاريخ العلويين مثل ثورة صالح العلي والحركة المرشدية خارج القوالب التفسيرية التقليدية التي حصرتها بين التمرد أو الوطنية الجاهزة.

كما يتناول مرحلة ما بعد الاستقلال، مشيراً إلى تعثر مشاريع اللامركزية الإدارية واستمرار فشل معالجة المسألة الزراعية أو الريفية.

ويمتد التحليل إلى صعود النخب العلوية بعد عام 1963 وتبلور دورها مع وصول حافظ الأسد إلى السلطة، رابطاً ذلك بتراكمات تاريخية وشعور طويل بالظلم المرتبط بالعوامل الدينية والجغرافية والاجتماعية. ويصف مرحلة حكم الأسد الأب بأنها بدأت كتوازنات سياسية قبل أن تتجه تدريجياً نحو تثبيت النظام ثم توريث السلطة، بما ترتب عليه من أزمات بنيوية لاحقة في الدولة والمجتمع.

ويرى الكاتب أن العلويين وجدوا أنفسهم أمام مأزق تاريخي جمع بين الارتباط بالنظام وتداعيات العنف المضاد، بعد سقوط النظام عام 2024. ويختم شحود كتابه بطرح إمكانية إعادة بناء الحياة الاجتماعية والسياسية في المرحلة المقبلة عبر التركيز على التعليم وتخفيف القيود السابقة، بما يسمح بإعادة إدماج أوسع في الحياة المدنية واستعادة أنماط أكثر انفتاحاً داخل المجتمع السوري.

حكمة أضاعها قومها

واعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الخلق كلهم عبيد الله وأهل طاعته طوعاً أو كرهاً، ولكن منهم خاص وعام وما بينهما طبقات متفاوتة الدرجات...

(من رسائل إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري)

ابن الشاطئ

الحديث عن العلوية من دون العودة إلى القرن الرابع الهجري فيه كثير من الإجحاف. لذا، لن يكون مستغرباً بدءُ الحديث عن هذه الطائفة بقول لإخوان الصفا. وهؤلاء لم يكونوا علويين، هذا صحيح، لكنهم لم يكونوا بمعزل عن الفضاء الذي وُلدت من خلاله العلوية.

ينتمي العلويون للفضاء الباطني الإسلامي الناتج من انفتاح الإسلام على الفلسفة اليونانية (الهلينية) والفارسية الإشراقية. ومع ذلك، اجترحت الجماعة - مثلها مثل الكاكائية، اليارسانية، علي اللهية، وغيرهم الكثير - طريقها الخاص في الفهم الباطني. في العلوية معنى، واسم، وسر. في العلوية باب، وحجاب، ومقامات معنوية شتى.

تتيح العلوية مجالاً لغير العلويين من المسلمين لاكتشاف الذات الإسلامية بنشأتها التاريخية المتعددة. فإذا كانت النشأة الإسلامية الأولى (في القرنين الأول والثاني الهجري) قد تولدت في فضاء علمي الحديث والفقه، فقد جاءت النشأة الإسلامية الثانية متلبسة بعلمَي الفلسفة والكلام. ومربط خيل العلوية في هذه النشأة المستأنفة التي فتحت الإسلام على مديات من خارج نصه التقليدي، وإن لم تخرج عن مجاله أو فضائه العام.

والعلوية حكمة أضاعها قومها. وأولى مراتب الحكمة الولوج إلى منطقة السر، وأولى مراتب السر الانهمام بالمعنى، وأولى مراتب تحقق المعنى وتجليه بمعرفة الاسم. العلوية عتبة العقل بين الداخلي والخارجي في التاريخ الإسلامي، ودُربة النفس في تدبرها لمقامها الأنواري.

وللعلوية مظلومية مزدوجة ومركبة: الأولى معرفية، والثانية سياسية. وأول معالم المظلومية العلوية تحولها إلى حقل أو موضوع دراسي. بدلاً من أن تكون العلوية (ومعها الدرزية والإسماعيلية) فضاءً لإعادة فهم الذات الإسلامية على امتداد التاريخ، صارت اليوم حقلاً للدراسة ليس إلا. يُدرس العلويون اليوم لا ليُفهموا - ولا ليفهم المسلمون ذاتهم من خلالهم-. بل ليكونوا موضوعاً لسلطة معرفية أو سياسية أو ثقافية وظيفية، وتلك كارثة لا أمل بشفاء حالنا منها.

أما ثاني معالم المظلومية، فأن يُنتزع العلويون من تاريخهم وواقعهم لاختزالهم في مقولات اختزالية عن عمد، كاختزالهم بكونهم مادة للنظام الأسدي وحاضنته ليس إلا، في نوع من التجهيل المتعمّد عن خبث أو عماء. وتلك بلية، شفى الله كثيراً منا منها.

ومظلومية العلوية مركبة، فهي داخلية وخارجية في آن. فأن يتناول المثقف العلوي تاريخ الطائفة بانقطاع تام - عن جهل أو تجهيل - عن كل الميراث الروحي والفلسفي الإسلامي، فتلك «فاحشة كبرى». فهل يُعقل أن يتناول المثقف العلوي اليوم نظام المعرفة العلوية بمعزل عن مقولات العقول العشر لابن سينا مثلاً، أو مقولات الفيض، أو الإشراق، عند الفارابي والسهروردي؟ كأنه ما سمع بها يوماً.

مرة جديدة، العلوية حكمة أضاعها قومها، وتلك مظلومية كبرى يعانيها العلويون اليوم، وأصعب ما فيها أنها مركّبة.

وأما وقد وقع «ما يقل الحديد» في مشرقنا هذا، فإنّ السؤال الذي ينبغي الانهماك به أو فيه هو في العدالة كإنصاف (باستعارة من جون رولز). لا يطلب العلويون مشروعية من غيرهم لضمان قبولهم، كما لا ينبغي لغيرهم سؤالهم عن شرعية ما يعتقدون. فكل خطاب عن الشرعية يُضمر في ثناياه نوايا المغالبة المليّة.

السؤال الحق الذي ينبغي أن يكون لدى العلويين وغيرهم: كيف السبيل إلى العدالة كجزء من اجتماعنا السياسي وكأساس لأدميتنا؟ متى يصير سؤال العدالة مركزياً عندنا كأفراد وجماعات؟ والى متى ندوي بأسئلة الواقع السياسي ونهرب من مواجهتها بالتلطي بالمقولات الدينية؟

السؤال هنا موجه إلى العلويين وإلى غيرهم على حد سواء. لا تتقاتل الملل والمذاهب في ما بينها اليوم لأسباب اعتقادية. فلنكف عن حفلة تكاذبنا. يقاتل بعضنا بعضاً لأن مشكلات بنيوية لها علاقة بالعدل كان الجميع قد أخل بشرائطها. فالعدل «أساس الملك» قيل يوماً، وبالعدل قامت السماوات والأرض، قال النبي من قبل، وبالعدل قيامنا، إذا ما كنا نرمي بأن يكون لنا «مكان ما» على هذه البسيطة.

في كتابه الجديد «العلويون في التاريخ السوري المعاصر (1918-2024)» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، يحاول الباحث والطبيب السوري منير شحود تقديم قراءة مختلفة لمسار العلويين داخل التاريخ السوري الحديث. في هذا الحوار، يتحدث شحود عن كتابه بوصفه جزءاً من مشروع أوسع لإعادة قراءة تاريخ سوريا الحديثة بعيداً عن السرديات الانفعالية والطائفية. ويناقش تحولات الهوية العلوية، وإرث الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، ومخاوف العلويين بعد سقوط النظام، إضافة إلى أسئلة الاندماج الوطني وإمكان بناء دولة سورية جديدة تقوم على المواطنة واللامركزية والدستور الضامن للجميع

منير شحود: نحن أمام مرحلة مضطربة!

● إحدى نقاط قوة الكتاب هو تقديم أول قراءة للعلويين مع انتهاء حكم الأسد، كيف تم ذلك؟ وهل يمكن اعتباره جزءاً من الاستجابة لحاجة هذا المجتمع اليوم؟

- كان الكتاب منجزاً قبل سقوط النظام وينتظر الطباعة فتمت بعض التعديلات البسيطة لتلائم نهاية المرحلة. هو جزء من مشروع لإعادة قراءة تاريخ سوريا الحديثة من دون اللغة الانفعالية العاطفية التي سادت من قبل معظم دارسي التاريخ. ويمكن القول إن ضغوط الحاضر هي التي شجعتني على هذه المحاولة، بما في ذلك إعادة قراءة العلوية نفسها، وإبراز مصادرها المختلفة في هذا الكتاب وأبحاث أخرى.

● من الواضح أن الكتاب يدرس المجتمع العلوي كظاهرة «ثقافية وتاريخية» لا دينية غنوصية؛ ألا ترى أنّ أي هوية يريدها العلويون في المستقبل يجب أن تبدأ في الإجابة عن أسئلة دينية شكلت سبباً رئيسياً في استهدافهم لقرون بسبب اتهامات تتعلق بالهرطقة؟

- يجب على العلويّين أن يحددوا ماهيتهم أو ماهياتهم الدينية بحرية، بعيداً عن المؤثرات المحيطة بهم تاريخياً، والتي دفعتهم لقوقعة التقية، ولا بحق لأحد نعتهم بالهرطقة ولا تكفيرهم، ولا أفضلية لدين على آخر. لقد وسمت هذه التهمة وغيرها كامل تاريخ العلويين، ولكنهم رفضوا في معظم الحالات تبديل دينهم.

● لماذا تعتبر إعادة قراءة ثورة الشيخ صالح العلي والحركة المرشدية محطتين مهمتين من تاريخ العلويين؟ كيف يمكن الاستفادة منهم أو ماذا نفهم عن العلويين أكثر من خلالهم؟

- إعادة تقييم ثورة صالح العلي تأتي من أنها حاولت إعطاء تصوّر عن دور للعلويين لم يكونوا متفقين عليه، ويخدم مشروع الأمير فيصل وربما مصلحة صالح العلي نفسه كزعيم محلي. باختصار، كان يجب إمحاء الفروق التاريخية بين العلويين وغيرهم بطريقة ارتجالية فوقية تقف وراءها مصالح مختلفة، ومنها ضمان نافذة بحرية لسوريا التي تقلصت مساحتها بعد اتفاقية سايكس بيكو.

أما ثورة المرشد، فقد كانت في جوهرها - قبل أن تتحول إلى عصبية بسبب تراكم المظالم - حركة إصلاحية اجتماعية دينية يحتاجها المجتمع العلوي الغارق في تخلّفه بسبب ممارسات ابتعدت عن جوهر الدين نتيجة عزلة تاريخية مديدة، فضلاً عن النضال ضد الإقطاع، ومحاولة تغيير دور الزعامات التقليدية للعشائر العلوية. إعادة قراءة الأحداث التاريخية مهمة لفهم سبب إعادة إنتاج المشكلات ذاتها خلال قرن كامل وبطريقة أكثر مأساوية، كما يشهد الحاضر.

● أشرت في حوار سابق، إلى أنه كان من المهم بالنسبة إلى حافظ الأسد قطع الصلة بين العلويين وتاريخهم، وكأنهم ولدوا عام 1970، فيما تشير بوضوح إلى أن حافظ الأسد لم يكن يعتبر نفسه طائفياً. إذاً ما سبب هذا القطع؟

- حافظ الأسد كأي مستبد شرقي حاول تثبيت حكمه من خلال تنويع مصادر الدعم السياسي، وقد استغل مظلومية العلويين لحشد الكثير منهم في القطاع العسكري والأمني. هو لم يكن طائفياً بالطبع، ولكنه استغل مختلف العوامل لتثبيت حكمه، ومنها العصبية الطائفية.

ومن أجل ذلك، كان يريد أن يمحي تاريخ العلويين وتبايناتهم بغية القول إنه هو الذي أخرجهم من العزلة إلى التاريخ. لكن، ونظراً إلى الفشل في إنتاج نظام مواطنة قابلة للحياة، نرى ما حلّ بالعلويين وما استجلبه لهم، بالتكافل والتضامن مع أعدائهم التاريخيين من المتشددين الإسلاميين.

● حللتم صعود العلويين عبر مساري الجيش والتعليم كقنوات للحراك الاجتماعي؛ اليوم، ما القنوات الجديدة التي يمكن للشباب العلوي سلوكها للاندماج في الفضاء الوطني السوري من دون الحاجة إلى الارتماء في حضن «عصبية أمنية» جديدة؟

- سوريا اليوم شبه منتهية بصيغتها السابقة ولا ينفع ترقيع تاريخها مرة أخرى، فإما أن تُحكم بصيغة لا مركزية وديمقراطية أو تتقسم. وفي انتظار ذلك، ستكون مرحلة مضطربة، وربما تحمل المزيد من المخاطر على العلويين وغيرهم من السوريين، فلا اندماج إلا بالتوافق بين السوريين كمواطنين أحرار ونبذ كل عصبية.

● هل اطلعت على الكتب الأخرى التي تناولت العلويين بعد سقوط النظام، وما رأيك فيها؟

- إن من أنصف وينصف العلويين هم الباحثون الأقرب إلى الموضوعية، ومعظمهم من الأجانب للأسف. ولا ينفي ذلك وجود باحثين سوريين يقرأون التاريخ بمزيد من الحيادية، كالباحث محمد جمال باروت.

مروة...

شعر

منذ استقرّ بنو عاملة في جنوب لبنان مع القرون الاولى للميلاد، اعتادوا القتال حتى الاستشهاد دفاعاً عن الارض التي احتضنتهم، في وجه كل غازٍ وطامعٍ ومستعمر. ولم ينافس هذا الهوى في نفوسهم سوى نزوعهم إلى كتابة الشعر في حبّ هذه الارض. فكان منهم «شهداء شعراء» لم يكن اولهم السيد علي محمد جواد بدر الدين (1949 – 1980)، عالم الدين المعمّم الذي غنت فيروز من كلماته، ولا آخرهم علي حسن عاشور (2024)، وكان منهم «شعراء شهداء» شهدوا بكلماتهم على حكايات البطولة والفداء، لا يتسع المقام لتعداد اسمائهم. في هذا الملف، وبالتزامن مع العدوان الإسرائيلي المستمرّ على لبنان، وعلى جنوبه بوجهٍ خاصّ، تفتح «الاخبار» صفحاتها لشعراء جنوبيين معاصرين كتبوا قصائدهم في مديح الارض التي شهدت على ولادتهم، وشهدوا على ولادتها مرة بعد مرة بعد كل عدوان جديد، منتصرةً، بترابها المجبول بدماء الشهداء. قصائد تنطلق من «القرية»، اول الاوطان، واصغر حلقات الارتباط الوثيق بالارض، لتكون مفتاح الانتماء إلى الهوية الإنسانية الاشمل

تقديم **مهدي زلزلي**

الجنوب بعيون أبنائه الشعراء: أنطولوجيا القندول والطيّون والزعتر

1- المنصوري
فاروق شويخ

غيمٌ ينبعُ من طينكِ يهطلُ في الروحْ
دقاتُ القلبِ تسافرُ نحوكِ
تبحثُ عن شَجرِ الصَّبّارِ
وعن خبزِ التنورِ يداوي جوعَ دمي
عن حوضِ النعناعِ يداوي عمري المبحوحْ
ما زالَ الوادي يذكرُ كفّي
حينَ نثرتُ الحُلمَ الأخضرَ فوقَ ترابكِ
حينَ رسمتُ الشمسَ رغيفاً
يكفي كلَّ جياعِ الأرضِ
ويُزهِرُ في ليلي كالقمرِ المذبوحْ
أتِ من وجعِ «المنفى»
أحملُ ذاكرتي النَّعبي
أسندُ رأسي فوقَ جدارٍ يعرفُ صوتي
قربَ مكانٍ يعرفُ كيفَ نَبتُّ هنا
كيفَ غدوتُ جنوبيًا
يلبسُ ثوبَ الأرضِ ويعشقُ فيكِ ترابَ السُّمرةِ
أنتِ المعنى
حينَ تضيقُ مسافاتُ الكونِ
وتبقى فينا أغنيةُ للأرضِ
وصرخةُ حبٍّ تمحو الغربةَ
خارطةً تنبتُ تحتَ الجلدِ
سماءً تولدُ من أنفاسي ريحًا زرقاءْ
تتكسّرُ فيكِ المرآةُ
أرى وجهي في كلِّ حصاةٍ سمراءْ
يا رحمًا من صخرٍ يقذفُني في لغةِ الطينْ
يصيرُ الصمتُ عيونًا ترقبُني
تحفرُ في ذاكرتي قُبلاً من ملحٍ
وتراتيلَ بقاءْ
قالَ جنوبي:
إنَّ المنصوريَ جهةٌ خامسةٌ
تسقطُ من سقفِ الملكوتْ
تفتحُ في صدري بابًا للغيبِ
ولأهوتْ
تركضُ خلفي طفلاً يسرقُ مني شيبي
هيَ ليستْ طبنًا
بل كونٌ يتكوّرُ في كفّي أشربُه
فتصيرُ دمائي أوديةً تجري نحوكِ
يا مسقطَ أنفاسي
يا زيتَ حنينٍ زَيّنَ لي
في أرضِ الأحلامِ سماءْ
أنا «منصوريُّ» الطينِ
وكونيُّ الموتِ
سأمنحُ أمواتَ البشريّةِ
مجدَ الأحياءْ!

■■■

2- جبالُ البُطم
داوود مهنا

قالَتْ «جبالُ البُطمِ» يَوْمًا وَهْيَ تَهمسُ لِلْجِبالْ:
«نامي هُنَا، لا تَقْلَقي،
خَبَّأتُ أَحْرانَ الشَّذى، رَجْعَ الصَّدى،
خَبَّأتُ لِلوَعْدِ الَّذي في خاطِري
قَمْحَ الحُقولِ المُنْحَنِي،
المُمْتَدَّ أَنْغامًا على تِلْكَ التِّلالْ
عِنْدي صَلابَةُ سِنْدِيانِ أَسْرَجَ الماءَ المُحَوَّمَ في تَلاوِينِ الظِّلالْ
عِنْدي مِنَ البُطْمِ المُحَمْلِقِ فَوقَ أَرْغِفَةِ الصُّخورْ
عِنْدي مِنَ الطَّيّونِ أَزْهَفَ ما بِأَحْلامِ العُطورْ
عِنْدي رِجالٌ»...
قامَتْ جِبالٌ في الجَنوبِ،
وَأَطْلَقَتْ في البَرِّ صَرْخَتَها

بَنِي حَيّانَ
يا كُلْماً تَجَذَّرَ في مَداهُ الوجدُ
يا رِئَةً من الزَيتونِ
تَنفثُ كبرياءَ الأرضِ
في رئةِ المدى الأغبرْ

■■■

بَنِي حَيّانَ
أمُّ التِّينِ والزيتونِ
حبيثُ المجدُ
سَرّحَ شَعْرَها الأخضرْ

■■■

على وجعِ الروابي السمرِ
تَغزِلُ من خيوطِ الفجرِ
أغنيةً لِمَن عبروا
بني حيانُ
يا طهراً مَشى في جُرحنا قمحاً
ويا ناراً..
تُقَبِّلُ وجنةَ العشاقِ بالموتِ الذي
أزهَرْ
بلابلَ في روابيها
حكاياتٍ من الطَّيّونِ والقِندولِ
والزعترْ

■■■

هنا الوادي..
يُجَمِّعُ دمعَنا جمعاً
يُعَمِّدُنا بماءِ الصبرِ
في زمنِ التكسُّرِ والرمادِ المُرِّ
أبا جَبلاً من الإصرارِ
يكبرُ في ماقيِنا
نُفِضَّتْ لهيبُكَ العاتي
وصرتَ قيامةً خُبِّئَتْ
بِنَصرٍ قادمٍ أكيدْ.

■■■

5- الجبّين
زينب خليل عقيل

ولأنكِ الحزنُ العتيقُ،
قصيدتي
وجراحي
ولأنكِ الجدّاتُ والأجدادُ
والبسماتُ والإعيادُ
والشجرُ الملقّحُ
بالكفاحِ
أحدّثُ الأكوانَ عنكِ
وأنتِ يا «جبّينُ» تنتظرين ملحَ
رجوعنا
فتهيئين لنا صباحاتٍ تليقُ بصبرنا
وقطوفَ عشقٍ في فمِ الأقداحِ
فالحبُّ الذي أعنيه يا أمّاهُ لا أبديهِ
بالإفصاحِ،
أبنيهِ بالدمِ
أعبرُ جسرَنا
في خفقةِ الأرواحِ.

■■■

6- صربا
أحمد نزّال

لصربا المفردة المرمّيّة في مدن الآثار
والقابضة على جرحها ليل نهار..
أيتها الممشوقة مثل القامات العربية
في يوم الأرض
الواقفة على حدّ النار
ألا يستهويك صراخي في آخر هذا
الليل؟
أسألك بأسماء الله الحسنى،
وأسماء المسجون في أطراف
الصحراء،
وأسماء لا تعرفها إلا الحيطان
الصمّاء،
صربا الشهداء وحنين الأرض
العطشى للماء!
أيتها المنتظرة خيلاً، سيفاً، رمحاً،
بيداء
الفجر سيأتي من سفحك المنحوت،
والليل يموت.
في صربا يغفو شهيدٌ على حدي
المقاومة،
ثم قليلاً يا بنيّ، تقول له: فينام
كثيراً..
وتسأل: كيف كان وقعُ الموت عليك؟
مَن يؤنسُ وحشة مَن؟
في صربا بيارقُ مزهوةٌ بالألوان،
تمادُ الساحات،
مرصوفةٌ كحبّ المرجان،
مثل النسائم لا تُرى،
هم أبناء المقاومة..
في صربا لا موتَ إلا في حدود
الشهادة،
هنا الولادة،
تاريخُ مجّده الأبطال،
ورواه الدم الزاكي، شقوا التراب
بدمهم أثلاماً،
وكروا في الرحيل،
ينثرون فوق خبزهم دماءهم،
فينتفخ الرغيف عنفواناً،
شهيّاً لذيذاً مرويّاً بدمائهم،
حملوه إلى السماء،
ومضوا يحملون العمر المنتظر،
بين حبر الموج المتوقّد وأعماق الحنان
النائم ورسائل اللهفة والترحال..

■■■

7- دير قانون النهر
يونس زلزلي

أهواكِ مُلهِمَتي
فاتنتي الدِّيرُ فاتحةُ القصائدِ
نهرٌ كالدّمعِ في الأعراسِ
عَلّمَني الفصاحةَ والبيانِ
وظلَّ أُقّاً ساحرَ الإيقاعِ
مغتبطاً بما يجري إليهِ
من المعاني
وامتياحِ الوجدِ
في الجَرَيَانِ
واهٍ يا صفوةَ البالِ
يا حلوَ صبوتنا
يا عيونَ الضّبايا اللواتي انتظرنَ
على ضفّةِ الشوقِ
عودتنا..
من يقطفُ هذا الحنينَ
من الكلماتِ
ويكتبُه قصصًا
للتّسامُرِ كلَّ مساءٍ
وأمنيةً تحت زيتونِها
لو تفيضُ المواسمُ حُبّاً يُزكّي الجنى
جنّةً من ضياءٍ.

■■■

8- عينا الشعب
فضل سرور

أرضٌ تُجافيها السّماءُ
غريبةٌ
مكتومةُ في قيدها والانتماءُ
أبناؤها ظُلّلَ الدّلوك كأنّهمْ
- إنْ يظهروا-
خَدمٌ عبيدٌ أدعياءُ
أرضٌ بلا أسمائها وصفاتها
منبوذةٌ،
لا ليسَ تحرسُها سماءُ
قدسيّةُ الأسماء ليس ترابطاً
لحروفها
كَسبيكتيْ دالٍ وراءَ
الشّمسُ دون شروقها حجَرٌ،
بهِ
كي يرتقي
تُرمى شياطينُ الدّهاءُ
في دَمّةِ التّاريخ تلمعُ نيّنوى
والغاضريّةُ والطّفوفُ وكربلاءُ
تتعدّدُ الأسماء، ونعتٌ واحدٌ
في السّدرة الأسمى لقاء الأوفياءُ
في كربلاءٍ، العشقُ خطّ ببيانهِ
بأناملِ الشّهداء أحرفُهُ دماءُ
عينا تنوّخَ طيبها أسماؤها
فصفاتُها جرزٌ الهوى
نجوى الدُّعاءُ
أسماؤها شهداؤها،
ترنيمةٌ
تنسابُ في صلواتنا ضوءاً وماءُ.

■■■

9- الحلوسية
محمد قشمر

تركوا كرومهم
غير أن حبالاً من مسد
أوثقَ أحلامهم بالكروم
وظلّ شيءٌ من ظلال يقظتهم
يخطف أحزانهم
إلى «جلالي السدّ» و«الزواريب»
ويقول لهم:
خذوا زينتكم عند «تينات ليلى»
وانثروا مواويلكم
في «بلاط السمسم»
وتخلّوا ماقيكم من قذى الشوق
في «حلّة العين»
فإذا ما صحوتم
من سكرة الحرب
سيروا وانتشروا في تراب معاجمكم
وقولوا
لولا أخرجنا من دُورنا
وحام حميم الدم فوق «وادي الحمام»
وانسلّت لدغة الموت من «حَلَقِ
الحيّات»
لما رُحنا
وما سُحنا
وبقينا كرماً دموياً
يفرطنا الشهداء،
تندعكُ
ننضرسُ
تهرسُنا حجارة الحب
في معصرة الحلوسية!

■■■

10- عنا
محمد علي ترحيني

يحكي ترابُ الأرض والحجرُ
والعشبُ والصبّار والشجرُ
عن جَنّةٍ مخفيّةٍ سكنت
في ذكرياتِ العمر تختمرُ..
عبّأ تفاصيلَ السما اختصرت
هي «عاملُ الخيراتِ» تختصرُ
العلمُ والإيمانُ زينتُها..
هي من فصول الحب تنحدرُ
رؤى ثراها من مضوا شهدا..
عبروا لكي نحيا فننتصرُ..
هي لوحةٌ خضرا، وزيتونٌ..
سهلُ الوطنى» بالورد يزدهرُ
هي عمرنا، وهي الحياة وبيتُنا
وإذا ابتعدنا.. الروحُ تحتضرُ

■■■

11- فرون
رشا مكي

جارة النّهر
تنهيدة الوادي
أنيسة اللّيل الجنوبيّ
واحة الأمل وسفيرة الصّباحات
الجنوبيّة
تغزل شالها الأخضر من خيطان
التّبغ وأوراق الزّيتون

هي امرأةٌ من جبل عامل
تحترف التّحدّي
وتليق بها الأمومة
طابت بما انجبَت فحلّقت
فرون
عزيزةُ الجنوب
تُدلّلُ نبع الحَجَيْر
وترسم وجهة الضّوء للشّهداء
كحارسةٍ حلم لا تنام
كي يظلّ الجنوب أخضر الحلم.

■■■

12- زبقين
محمد البندر

من أين لي
ضلع ضليع بعضه يسعى
لكلي
من أين لي أن أبتدي وجعي
فيا مستنطق الأقلام
قل لي
لا شيء يمكن أن يفتّ عزيمتي
بجيوش جهل
لا شيء يمكن أن يكون مرافقاً ظلي
كظلي
لا الصبح أنصع من دمي
لا النهر أنقى ماؤه من دمعة
في عين طفل
لا الصيف أدفى شمسه
من بيت أهلي
فأسائل حقول التبغ عن قاماتهم
وسل الليالي
عن تجاعيد الزمان على صخور
جباههم
واسأل شقوق الارض
عن محراث جدي
أين ثيران المسافة
أين أكوام السنابل
أين أنغام المناجل
أين ذاكرة المفارق والازقة
والدروب
يا ملهمي شعري
توضأ قربة للضوء
واسجد في محاريب الجبال
وخذ من الطيّون
ضمّاداً لروح الشمس
حين يشدّها حوت
الغروب
يا مهلمي وجعي
أقلني عثرتي
في مدلهمات المطارح والمسارح
والخطوب
يا ملهمي هذا الجنون
انثر مراياي وحشتي
ودع الضّياء يدلني
كي أقتفيني سائراً في حيرتي
مترقباً أنّي اتجهت
فكل درب سرتها
كل الجهات نسيتها
فتوحّدتْ
وتوجّهتْ نحو
الجنوب.

■■■

13 - طورا
فؤاد دهيني

لم تكنْ قريةً تُقالُ
إنّها سرُّ التّرابِ في صدرِ السّحابِ
وجبينِ التّلالْ
إذا حدّثتْها الرياحُ
أجابتْها بصوتِ الزّيتونِ، وموسيقى
الأقاحْ
هي ظلّ النّيمونْ
تُخفي في جذعِهِ سيرةَ حربٍ تحكيها
العيونْ
وتكتبُ على أوراقِهِ
أنّ الأصفرَ والأخضرَ سيفانْ
لا يفترقانْ

■■■

في طرقاتها
بمشي الحجرْ منتصبَ القامةِ
ويُصغي لصوتِ الرّصاصْ
فإنْ سمعَ ملحمةً للخوفْ
تصلّبَ في هيئةِ قلعةٍ تُحدّقُ فنّ
القصاصْ

■■■

طورا
امرأةٌ هوايتُها السّهرْ
تُسرّحُ شعرها بالمطرْ
وتُخبّئُ في جدائلِهِ القذائفْ
تضحكُ حين يقتربُ الموت
كأنها تهزأ بالعواصفْ

■■■

هي قلعةُ الصّمودْ
تقولُ لنا: لا يُقاسُ البقاءُ بعددِ
الناجينْ،
بل بعددِ الذينْ وقفوا..
ولم ينحنوا على الحدودْ
للجنود والجمودْ

■■■

طورا،
حين يضيقُ شوارعَ صدرِها العدوُّ
حين يثورْ
توسّعُ قصباتِ رئتيها لتشهقَ القرى
وتتنفّسَ مدينةُ صورْ
كأنها فكرةٌ لا تُحاصرْ، ولا تموتْ
إلّا وهي رافعة رأسَ البيوتْ..

■■■

فيها
الحجارةُ شعراء لا يملّونَ كتابةَ
القصيدة
كلُّ حجرٍ قلمٌ، وكلُّ دربٍ صفحةٌ
جديدة
وكلُّ شجرةٍ تحفظُ أسماءَ الشّهداء
الّذين حفروا في جذورها
وصايا الدّمِ والعقيدة..

■■■

طورا،
إذا اشتدّ اللّيلُ عليها
تُشعلُ فوانيسَ أبنائها المقاومينْ
بالحبّ.. بالحنين.. والياسمينْ

■■■

في طورا.. مدخلٌ محاطٌ بالنّخيلْ
كلُّ شجرةٍ فيها حكايةُ دمٍ بسيلْ
تصطفُّ متأهّبةً لاستقبالِ الوافدينْ
تحفظُ صورةَ شهيدٍ، بجذعٍ لا يلينْ
تغسلُها وتمسحُها كلَّ صباحٍ
بسعْفِها وعطفِها
وكلُّ ضيفٍ يأتي إليها تدعوه لقطفِها
وتستقبلُهُ بطبعِ ختمٍ قبلتِها على
جبينِهِ
وتودّعُهُ ببسمةِ الحياة
هنا تعانقُ الجهات..
هنا يتعلّمُ التّرابُ
كيفَ يكونُ سيّداً حتّى وهو تحت
الأقدامْ
هنا طورا أكبرُ من كلّ الكلامْ
لذا، سأسكتُ.. والسّلامْ..

رواية

محمد جبعيتي لم يصله «بريد غزّة»

في رواية «لا بريدَ إلى غزّة» (دار الآداب)، يطرح محمد جبعيتي الانقسام الفلسطيني بوصفه المحرّك الأساسي للمأساة الغزّية، متراجعاً بالاحتلال الإسرائيلي إلى الخلفية. هنا تكمن إشكالية الرواية: هل يمكن الكتابة عن غزّة، في ذروة الإبادة والحصار، من دون وضع العنف الاستعماري في مركز السرد؟ أم انّ الادب الفلسطيني يحمل، بالضرورة، مسؤوليّة سياسية وتاريخية؟

ساري موسى

منذ نكبة فلسطين في عام 1948، سعى الأدب العبري المُستوطِن والمواكب لـ«إقامة دولة إسرائيل» إلى تغييب الرواية الفلسطينية، وتصوير سكّان الأرض الأصليين كمجموعةٍ من البدو المتخلّفين المرتحلين، تكريساً لمقولة إنّ فلسطين «أرض بلا شعب»، من خلال روايات كُتّبَت من منظور المنتصر، قلّما صوّرت العرب خارج مجال القتال معهم، أي خارج كونهم مهزومين أذلّاء بلا تاريخ أو صوت.

في خدمة الرواية الإسرائيلية

في السنوات الأخيرة، خصوصاً بعد حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة في 2023، دخل الإعلام بقوّة أكبر في ترجيح الرواية الإسرائيلية، وتبنّاها أكثر من أيّ وقتٍ مضى، مُكملاً ما بدأه الأدب، مستغلّاً طبيعة العصر وسهولة وصوله إلى الجمهور. ولم تعد إسرائيل وحدها من تُردِّد رواياتها للأحداث، بل ساندتها وتقدّمت عليها وسائل الإعلام العالمية الكبرى، الأميركية والأوروبية، من دون أن تُصيب مع ذلك النجاح داخل مجتمعاتها، التي خرجت فيها المبادرات والتظاهرات والحركات الداعمة للحقّ الفلسطيني.

يُرتّب كلّ ما سبق ذِكره تحدّياتٍ أكبر ومسؤوليات أثقل على الأدب الفلسطيني، وتحديداً ما يُكتَب ويُنشر في ظلّ هذه التحديات الوجودية المتزايدة، إهمالاً لإرث الحركات الداعمة للحقّ الفلسطيني.

يُرتّب كلّ ما سبق ذِكره تحدّياتٍ أكبر ومسؤوليات أثقل على الأدب الفلسطيني، وتحديداً ما يُكتَب ويُنشر في ظلّ هذه التحديات الوجودية المتزايدة، إهمالاً لإرث غسان كنفاني ورفاقه في تصحيح سردية الماضي، وتاريخ أحداث الحاضر، وصولاً إلى ترك وثيقة تاريخية للمستقبل تُرشِدُ الرواية الوطنية الفلسطينية.

بين الاحتلال والانقسام الداخلي

في هذا الإطار، يبدو غريباً وغير مفهوم اختيار الكاتب الفلسطيني محمد جبعيتي الانقسام الفلسطيني موضوعاً رئيساً لروايته «لا بريد إلى غزّة» (دار الآداب). في ظلّ الحرب الأشرس على القطاع المحاصر، يختار جبعيتي الكتابة عن فترة ما بين العدوانات الإسرائيلية، ويكتفي بالمرور على الحروب العدة التي تلت انسحاب إسرائيل من غزّة مروراً عابراً! بالطبع، يحقّ لأيّ كاتب اختيار الموضوع الذي يريد لكتابه، لكنّ الوعي بخطورة هذا الاختيار، وما يترتّب عليه في الحالة الفلسطينية تحديداً، يجب ألّا يغيب عن البال.

حضور اسم غزّة في عنوان الرواية، وضمن السياق الذي وردت فيه، يجعل القارئ يتوقّع أن يكون سبب انقطاع غزّة عن العالم هو العدوان الإسرائيلي، كما هي الحال في الواقع فعلياً. لكنّ الاحتلال ليس المسؤول عن ذلك في رواية جبعيتي، إذ يحضر الخلاف الداخلي بين الإخوة كسبب أوّل للانقسام والمشكلات والموت، وهذا ما يمثّله الكاتب رمزيّاً داخل عائلة مطر، التي ينتمي إليها بطل الرواية جلال. كما أنّ الحروب الإسرائيلية الدوريّة على القطاع ليست سبب موت معظم شخصيات الرواية المُحدّدة بالاسم والسيرة والتفاصيل، وإجهاض أحلامها، بل السلطة الحاكمة في غزّة تارة، والوفاة الطبيعيّة تارة أخرى؛ ما يعني القارئ في حالة غزّة ليس الموت الذي يمكن وقوعه في أيّ مكان آخر في العالم، بل الموت الخاصّ بأهل غزّة؛ إبادتهم بدم بارد وبشكل جماعي من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي.

حتى الانقسام نفسه ليس انقساماً فلسطينيّاً خالصاً منعزلاً عن مسبّباتٍ وعوامل خارجيّة، تدخّلت دول كبرى في فرضها وترسيخها. قبول بعض الفصائل بحل الدولتين وفق اتفاق أوسلو مع الاحتلال، الذي لم يُحقّق أي مكاسب للشعب الفلسطيني، وتخلّيها بموجب بنوده عن المقاومة المسلّحة، صنع شرخاً بينها وبين الفصائل الأخرى التي لم تُلقِ سلاحها وبقيت على نهج مقاومة الاحتلال بالوسائل كافة. ينسحب الأمر ذاته على بقيّة التفاصيل الحياتيّة في القطاع المحاصر.

أحلام تحت الحصار والموت

يهوى جلال مطر رياضة الباركور، ويطمح إلى احترافها والخروج من غزة للمشاركة في مسابقاتها دولياً. شقيقه أحمد مفقود الأثر، إذ انتمى إلى إحدى حركات المقاومة (يُسمّيها الراوي «الفصائل المسلّحة»)، التابعة بحكم الانقسام الفلسطيني لحركة «حماس»، التي تُطاردهم، فيسقط جلال خلال هربه وتتعرّض ساقه لإصابةٍ مُعيقة. صديقه المقرّب زكريّا، يموت فجأة بعدما توقّف قلبه وهو شابٌّ صغير. «حماس» أولاً، التي أجهضت حلم الفلسطينيّ الغزّيّ، والوفاة الطبيعيّة ثانياً، التي قتلت شاباً آخر. أين إسرائيل من كلّ هذا؟ أين حصارها الذي يقتل الناس من خلال منع الأدوية والاستشفاء عنها، ويحبسها ويُقيّد طموحاتها؟ أين حروبها التي تقتل المدنيين بعشرات الآلاف، لكنّ ذلك لم يحصل فحسب كما هي حال شقيق جلال؟

لا بُدّ من أن تحضر إسرائيل، لا يمكن أن تغيب تماماً ما دام الحديث عن روايةٍ تجري أحداثها في غزة. لكنّها تحضر في آخر أسباب الموت، وربّما لحاجة الكاتب إلى من يتحمّل مسؤوليّة القتل الجماعي. تنتهي الرواية مع معركة «سيف القدس»، التي اندلعت في أيار (مايو) 2021، بعدما قرّرت مقاومة غزّة مؤازرة المقدسيين الذين يتعرّضون لخطر التهجير من الأحياء القديمة، وتحديداً حينها حيّ الشيخ جرّاح. تتعرّض عائلة مطر، الأب والأمّ والأخوات، التي كانت في سيّارتها، تنتظر انضمام جلال إليها للذهاب لحضور احتفال زفاف، إلى قصفٍ يحوّل أفرادها إلى أشلاء محترقة.

الخلاف الداخليّ بين الإخوة سبب أوّل للانقسام والمشكلات والموت!

الأدب بوصفه معركة وعي

دائماً ما كان الأدب جزءاً من المعارك في كلّ زمانٍ ومكان. هو معركة وعي قبل أيّ شيءٍ آخر، وبالتالي لا يُفيد عند كتابته أيّ تراجٍ في إبراز الرواية الوطنية، أو تقديم أيّ اعتباراتٍ على اعتبار الصراع الوجودي مع العدو، سواء أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد، بعلم أم عن جهل. يبقى الأدب وثيقة تاريخية تتناقلها الأجيال، وهذه قوّته. الأمثلة كثيرة على ذلك. أزعجت عدنيّة شبلي في روايتها «تفصيل ثانوي» (2017) الصهيونيّة العالمية، وفضحت من خلال إلغاء مشاركتها في «معرض فرانكفورت»، مع بداية معركة «طوفان الأقصى»، المتواطئين معها. المقاومة الفلسطينية وعت جيّداً أهمية الأدب، ومدى تأثيره وقوّته، إذ كان في طليعة من تمّ تحريرهم في عمليات تبادل الأسرى الأخيرة عددٌ من الكُتّاب الفلسطينيين، من بينهم من فازوا بجوائز عربية وعالمية عن كتبهم التي كتبوها داخل المعتقلات، وواجهوا من خلالها المستعمر والسجّان، مثل ناصر أبو سرور وباسم خندقجي. هناك أيضاً مثال غسان كنفاني الذي أرّقت كتاباته الإسرائيليين، بالإضافة إلى عمله السياسي كناطق باسم «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، فما كان أمام الموساد حلٌّ إلا اغتياله، لكنّ ذلك لم يحصل إلّا بعدما وضع كنفاني ثلاث دراساتٍ فضح من خلالها هشاشة الادّعاءات التي زخر بها الأدب الصهيوني. كما درس أدب المقاومة في فلسطين قبل الاحتلال وبعده، فاضحاً في كتاباته الأدبية الرواية الإسرائيلية، والإهم أنّه وضع في مواجهتها روايةً مضادّة، ليس على أدباء فلسطين اليوم تجاوزها، بل البناء عليها والإضافة إليها.

إشراق كرونة

هذه سرديّة تحبي النقصان المشغول بملاحظة الكمال. النقصان الذي يفيض عن حاجة التمام إلى الامتلاء. تُدلق عالية ممدوح في روايتها الجديدة «خلوة النّقص» (دار الآداب) دلو المرض على حروفها وعلى بياض ورقها وعلى قرّائها. دلو من الفضّة اللامعة هو غنيمتها الوحيدة التي ترشحُ ببغداد البعيدة. بغداد التي ما زال مذاقها منقوشاً على وجه بائع الشاي الذي كان آخر وجهٍ أليف ودّعته عالية الشابّة في شركة «نيرن» واعتبرته منذ تلك اللحظة «كلّ عائلتها». وهي بغداد التي استعادت طريقها إليها عندما سلك «البنج الطريق العام ما بين بغداد . دمشق . بيروت» في عروق يديها الخضراء البارزة!

لقد طار بها بساط الذكرى العتيقة إلى رحلة القطار التي أسرت بها من حضن الجدّة ومسبحتها ومن جديلتها المغبرّة بلون الشيب ومن يدها التي «تضيق ذرعاً بصوت الملعقة ونحن نحرّكها في القدح» ومن رائحة البيت الدافئة إلى معراج المنفى البارد. ما زالت بهارات البيت العراقي تخنق أنف عالية بالحنين تارة وبالخيبة طوراً. لقد دسّت هذه الخلوة مذاق البهارات كما مذاق المنفى في حلق كلّ قارئ غلّقت الخلوة وراءه الأبواب، تماماً كما راودت عالية الموت الذي هو في بيتها: «فراودته عن نفسي من يوم ليوم» خلال رحلة مرضها الطويل والمريرة.

هلال النّقص وخلوة حتّى مطلع الفجر!

ليس المرض على قسوتهِ بخيلاً، وتلك من هباته الشحيحة على السرد! فقد أهدى عالية خلوة قابلة للكتابة. خلوة تمكّنها أن تتعرّى داخلها من كلّ ما يحرجها، فتلتقي بمن اشتاقت ذاكرتها إليهم بلا موارية: صوت الجدّة وسورة الحاقّة وغيرة العمّة ونمش الأمّ الذي راتّه في جارها «مسيو تبري». لقد كافأها المنفى على صبرها وعلى اجترارها خيباتها المتعاقبة على جسمها النحيل (مثل هلال العيد) بأن أعاد إليها شيئاً من «ريح» أمّها في نمش جارها. جارٌ بكته كما لم تبكِ أمّها. لقد «جزّ» المرض صوتها. كما كتبت في الصفحة السابعة والثلاثين. بيد أنّه لم يجتث يدها فجاءت الخلوة وحلّ النّقص. نقصٌ ضروري ليرى كلّ قارئ فيه صورة عن نرسيسه الخاصّ الذي يكتمل ولا ينقص بلا حاجة إلى أسطورة أو مرآة.

الإبادة ناقصة من أجل خلوة كاملة

إنّها ملحمة سرديّة اعتصرها المرض الذي فتك بمفاصل جسد عالية قبل أن تسري العدوى في مفاصل لغتها وقبل أن تطمع عينا المرض اللامعتان مثل عيني ذئب جائع للفتك بروايتها. أثرت الكاتبة أن تقارع المرض من خلوتها وأن تنتصر للنصّ حتّى لو كلّفها ذلك نقصاناً أبدياً! أعني حتّى لو كلّفها ذلك حياتها كلّها. لقد رأت في شرف مقارعته وموتها، ولادتها الجديدة الكاملة والأخيرة التي تنتظرها.

عَبَرت عالية قارّةً كاملة من الفوارق قبل أن تلجَ ساحة الخلوة: واضحة تنفض عنها أي غموض. لقد جاءت في موعدها . هي التي عهدتُها دقيقة المواعيد . جلست في صدر الرواية . وجهها وضّاح وثغرها باسم . تعلن أنّها تستقبله «عند عتبة المتن» بل كانت واضحة في ندبّة علاقتها به، إذ لم تنكث موعدها معه ولم تخفِ طمعها . طمعها السردي طبعاً . في استثماره: «أدور حول مرضي وأستثمره».

إنّها ليست سرديّة خارجة عن المألوف. إنّها تعيد تعريف المألوف وكلّ خارج عنه. تعيد تعريف المعرّف الذي ألفناه في كتب النقد وفي كتب الطبّ وفي أبيات الشعر وفي نقد القديم والمحدث والمعاصر. لا شيء تهمله عالية للصادفة في حياتها كما في كتابتها عن موتها المشتهى: جرّة الوقت الفخّارية في الزمن السرديّ تذكرني بجرّة مائها الفخّارية الملفوفة بقماش خشن التي روتني منها مرّات ماء زلالاً. رائحة مخضرمة من نباتاتها المنزلية الأليفة التي تسقيها بينما أقرأ على مسامعها بريدها. أسترق النظر إلى يديها ترتفعان بقربة الماء نحو فم النبتة وأستروق الشمّ أيضاً لأمتلئ برائحة «الروز ماري» التي تطفو على سطح الرواية مثل زهر البرتقال في نافورة بيت دمشقي عتيق. ترتّب حروفها كما تحرص على ترتيب صحونها الفخّارية في الخزانة. كلّ شيء فخار في البيت كما في المتن الروائي يذكّي رائحة الهشاشة البشرية ويذكّر بأسطورة كلسنا الأولى. تجلس ضيوفها من الشخصيات في صدر البيت بعد أن تنزع أحذيتها في مدخله الضيّق. ففي بيتها كما في روايتها، يمشي القرّاء والضيوف حفاة مثل «خطبة الهندي الأحمر».

وفي «خلوة النّقص»، يمكنك أن تعثر على كلمة الليفة في مشافهات عالية اليومية مع الصيدلية ومع الجارة ومع أصدقائها البعيدين في الهاتف: «ها عيني»؟ «اشكرلي» «قدوة لعيونك». تتململ وأنت تقرأ خلوتها ونقصها ما يتلمّظه ضيفها من «حسن ابتدائها» . على حدّ توصيف النقد القديم . في البيت أعني حسن ضيافتها. وفي البيت عندها كما في الرواية، نجلس بندّية مع الموت: ضيفاً مقابل ضيف. لقد علّمتنا عالية أن نحترم خصومنا وأن نكرم مثواهم. وهذه جمالية لا تتحقّق في كلّ نقصٍ ولا ترتمي في أحضان أيّ خلوة.

صهيل الإخفاق وماء البئر

لا تكتب عالية هاهنا بقلم كامل الحبر. ولا تكتب بيد ممتلئة الأصابع. ولا تكتب على ورق رباعي الأركان. ولا على سرير أبيض البياض. ولا تكتب بحروفٍ تامّة. كلّ شيء مبتور. وكان ينبغي أن تتحقّق مقولة البتر حتّى يخرج إلينا النصّ كاملاً. لكلّ نص ثمن. عدّت ممدوح نقائصها كاملةً بأطراف أصابعها المبتورة من برد الكانون القاسي قبل أن يذكّرنا سطر سرديتها الأوّل أنّها قد احتفظت بأمراض عائلتها كلّها. فمن تقاليد عائلتها التي حرصت على وراثتها أنهم يتبعون المرض كما لو كانوا «في مدرسة داخلية».

«خلوة النقص» هذا عنوان مؤقت في سياق الرحيل الطويل. رحيل يبدأ من خلاصة التراكم الذي لا تخفيه المبثوثة كالعقيق المطرّز غير محاولة لترويض الدهشة التي أصيبت بها عالية باكراً ولم تشخّصها مخابر التحاليل الطبية ولا مخابر البحث السرديّة. لم ير أحدٌ دماء حروفها مصلوبة في باريس ولا مخدّة رأسها «المحشوة بالسنين والإخفاقات».

تغصّ شواهد الحضور الأفل من كتّاب ورهبان وفلاسفة وفيزيائيين وتتصدم «جميع الأسماء الصحيحة والمعتلّة» في فصل روائي. يمشون تحت مسامسها المنخّنة من الحقن والتجريب فلا نشعر . ونحن نقرأ . إلا بدبيبهم على شفاهنا. والكاتبة هي الكاتبة. تئن وتدفن رأسها في خلوة الانكسار ولا يخبو قلمها مع ذلك.

طلبت عالية موتها مراراً إلى بيت الطاعة في هذه الرواية. بيد أنّه عنيد . مثلها . إذ لم ينطع كما أبت هي الطاعة في رواية أخرى. استعدّت له مثل جندي صحصح لم ينل من الرتب العسكرية الكثير، بيد أنّه من أسلاب مريم التي شفع لها الرطب الجنيّ. أحضرت كلّ أدواتها لتستقبله: نمش والدتها وصوت جدّتها وأسماء صديقاتها ودمعتها التي حُفرت على رقبة وفاء قاسم في ثلّاجة الموتى ولهجتها العراقية التي عركتها طويلاً مع توابل البيت مثل حكيم صيني يعدّ ترياقاً سريّاً. وجهّزت بغدادها قرباناً لعنْبيه. قالت: «أستعدّ للحزن هنا بصوتٍ مرتفع»؛ غير أنّ الموت لم يخبّئ ظنّها إذ لم يُستجب. لم يكسر أفق انتظارها المعهود فلم تألف أن يجيء إليها شيء تريده حتّى الموت! لقد رماها بباقةٍ من الألم ومضى هازئاً من مسامير الصلب التي نخرت حبالها الصوتيّة فتهدّج الحرف المتعثّر من أعلى خلوتها تحتي حتى درج نقصانها.

لقوب خمسة في كفّ النبتة وفي راحة رئتها

مثل طفلة صغيرة لا تعرف من الأرقام سوى ما تسعه أصابع يدها، عدّت عالية ثقوب رئتها التي ينبّجس منها النقص مثل ساعة رملية. فوجدتها خمسة محفورة في خدّ نبتتها الأليفة. تتخبّط في الحلم والانقاض وتعترف تحت سيل الأمراض المنهالة عليها أنّها تبحث عن خلوة رحيل، إلى لذّة لا تتحقّق لتعدّ هناك على مهلٍ نقائصها ونقصانها. تجثو في محراب خلوتها وتبتسم لقافلة المسافرين الذين ودّعتهم فكتبتهم: بائع الشاي وآمّها ووفاء قاسم وجدّتها ودموع رولان بارط على أمّه. تفتح ذراعيها مثل راهب متضرّع إلى مرضه. تعترف به ولا يغفل. تتشرّف به وتهديه صرّة هي «كومة عظامها» لينحت وسام انتصاره الأخير وإخفاقها المتوقّع ولا يقنع. لم يرحم المرض نقصانها ولا تركها وشأن كمالها الروائي. جثمَ على سُلطة لغتها ليشاهد كلّ شيء فيها ينتهي في لحظةٍ وهي تخوض مواجهة السؤال الأبدي عن سيرورة هذا الجسد من الأزل إلى الأبد.

لا معنى للأرقام بعد خُمس اليد. تقبض عليها بكلّ جُمعها وبما بقي فيها من قوّة الإنشاد وتحاول أن تستاصل نقصاً لا يُرى في مدينة الإفرنج التي لا تعترف بالموت ولا تحزن على موتاها: «الموت لا يُرى في المدينة المضاءة طوال الوقت» فهل أقسى على كاتبة ثاقبة الملاحظة كثافة الثقوب في رئتها المعتلّة أن تعي أنّها ستنتهي في مدينة تطمس أحزانها؟ «تُرى أين يخبّئ الفرنج أحزانهم؟»

لفيف مقرون بالهزائم

تعود بغداد: تعود في الكتابة وتعود بها. لكنّ صاحبتها لن تعود إليها البتّة. يتصاعد صوتها مبحوحاً «بغداد كجدّتي مريضة دائماً». ودجلة لا تصبّ في نهر آخر سوى عينيّ عالية. عيناها اللّتان تحملان زرقة غير مألوفة لا هي زبد البحر الهائج ولا هي صفاء السّماء المورقة، ولا هي تماماً لون خرير الماء. هذا لون النّقص الذي أصاب مقلتيها منذ أكلت من تفّاح الرافدين. لقد خلا النّقص إلى بؤبؤ عينيها وتكوّر فيهما مثل جنينٍ ميّت حتّى ازرقّا. وها هي اللغة تبدو «وحيدة وموحشة»، إذ تقضم «أوراق أفولها» التي تحاول عالية ترتيبها كلّما صحت من محاليل التخدير في الضاحية الباريسيّة.

ولكنّها رواية تكرّس مفاهيم جديدة للجمالية. إنّها تفلت من الأجناس المعهودة: فلا هي نثر تماماً ولا هي نثر مغتسل بالشعر ولا هي حبكة من الخطوط أو من الخيوط أو هما معاً، ولا هي سُرر مرفوعة ولا نمارق مصفوفة. إنّها جنس ينزّ من المرض والخذلان والانكسار. رواية تتصالح مع فكرة النّقص وترفس الكمال الزائف مثل ناقة حرون. تتناثر حولها المسمّيات مثل ريش الوسائد. تفرّ من النقص وتنتمي إلى لغة التفاصيل. إنّها رواية تجترح لجنسيّتها جرحاً خاصاً وجنساً خاصّاً. نحجّ إلى خلوتها ناقصين لنتبرّك بلامها علّها تذهب عنّا سيّئاتنا. نعرّف أنفسنا فيها قرّاء وحجّاجاً وتبقى هي سرديّة عصيّة، ملكية جمالية للجميع. دعتنا عالية ممدوح في هذا النصّ إلى كلمتها السّواء: «أنا المؤلفة وهذا مرضي الذي لا شفاء منه».

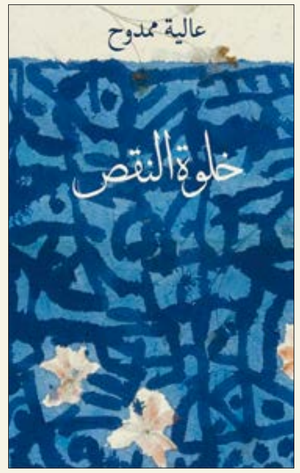

يتصاعد صوتها مبحوحاً «بغداد كجدّتي مريضة دائماً»

عالية ممدوح... خلوة كاملة للنّقص

في «خلوة النّقص» (دار الآداب)، تحوّل الكاتبة العراقية عالية ممدوح المرض والمنفى والخذلان إلى مادّة سرديّة كثيفة تتأمّل الجسد والذاكرة والموت. رواية تكتب النقص بوصفه شكلاً من أشكال الاكتمال، وتحوّل الهشاشة الشخصيّة إلى لغةٍ أدبيّة تواجه الفقد، والعزلة، وأفول الحياة، من بغداد إلى باريس

إشراق كرونة

هذه سرديّة تحبي النقصان المشغول بملاحظة الكمال. النقصان الذي يفيض عن حاجة التمام إلى الامتلاء. تُدلق عالية ممدوح في روايتها الجديدة «خلوة النّقص» (دار الآداب) دلو المرض على حروفها وعلى بياض ورقها وعلى قرّائها. دلو من الفضّة اللامعة هو غنيمتها الوحيدة التي ترشحُ ببغداد البعيدة. بغداد التي ما زال مذاقها منقوشاً على وجه بائع الشاي الذي كان آخر وجهٍ أليف ودّعته عالية الشابّة في شركة «نيرن» واعتبرته منذ تلك اللحظة «كلّ عائلتها». وهي بغداد التي استعادت طريقها إليها عندما سلك «البنج الطريق العام ما بين بغداد . دمشق . بيروت» في عروق يديها الخضراء البارزة!

لقد طار بها بساط الذكرى العتيقة إلى رحلة القطار التي أسرت بها من حضن الجدّة ومسبحتها ومن جديلتها المغبرّة بلون الشيب ومن يدها التي «تضيق ذرعاً بصوت الملعقة ونحن نحرّكها في القدح» ومن رائحة البيت الدافئة إلى معراج المنفى البارد. ما زالت بهارات البيت العراقي تخنق أنف عالية بالحنين تارة وبالخيبة طوراً. لقد دسّت هذه الخلوة مذاق البهارات كما مذاق المنفى في حلق كلّ قارئ غلّقت الخلوة وراءه الأبواب، تماماً كما راودت عالية الموت الذي هو في بيتها: «فراودته عن نفسي من يوم ليوم» خلال رحلة مرضها الطويل والمريرة.

هلال النّقص وخلوة حتّى مطلع الفجر!

ليس المرض على قسوتهِ بخيلاً، وتلك من هباته الشحيحة على السرد! فقد أهدى عالية خلوة قابلة للكتابة. خلوة تمكّنها أن تتعرّى داخلها من كلّ ما يحرجها، فتلتقي بمن اشتاقت ذاكرتها إليهم بلا موارية: صوت الجدّة وسورة الحاقّة وغيرة العمّة ونمش الأمّ الذي راتّه في جارها «مسيو تبري». لقد كافأها المنفى على صبرها وعلى اجترارها خيباتها المتعاقبة على جسمها النحيل (مثل هلال العيد) بأن أعاد إليها شيئاً من «ريح» أمّها في نمش جارها. جارٌ بكته كما لم تبكِ أمّها. لقد «جزّ» المرض صوتها. كما كتبت في الصفحة السابعة والثلاثين. بيد أنّه لم يجتث يدها فجاءت الخلوة وحلّ النّقص. نقصٌ ضروري ليرى كلّ قارئ فيه صورة عن نرسيسه الخاصّ الذي يكتمل ولا ينقص بلا حاجة إلى أسطورة أو مرآة.

الإبادة ناقصة من أجل خلوة كاملة

إنّها ملحمة سرديّة اعتصرها المرض الذي فتك بمفاصل جسد عالية قبل أن تسري العدوى في مفاصل لغتها وقبل أن تطمع عينا المرض اللامعتان مثل عيني ذئب جائع للفتك بروايتها. أثرت الكاتبة أن تقارع المرض من خلوتها وأن تنتصر للنصّ حتّى لو كلّفها ذلك نقصاناً أبدياً! أعني حتّى لو كلّفها ذلك حياتها كلّها. لقد رأت في شرف مقارعته وموتها، ولادتها الجديدة الكاملة والأخيرة التي تنتظرها.

عَبَرت عالية قارّةً كاملة من الفوارق قبل أن تلجَ ساحة الخلوة: واضحة تنفض عنها أي غموض. لقد جاءت في موعدها . هي التي عهدتُها دقيقة المواعيد . جلست في صدر الرواية . وجهها وضّاح وثغرها باسم . تعلن أنّها تستقبله «عند عتبة المتن» بل كانت واضحة في ندبّة علاقتها به، إذ لم تنكث موعدها معه ولم تخفِ طمعها . طمعها السردي طبعاً . في استثماره: «أدور حول مرضي وأستثمره».

إنّها ليست سرديّة خارجة عن المألوف. إنّها تعيد تعريف المألوف وكلّ خارج عنه. تعيد تعريف المعرّف الذي ألفناه في كتب النقد وفي كتب الطبّ وفي أبيات الشعر وفي نقد القديم والمحدث والمعاصر. لا شيء تهمله عالية للصادفة في حياتها كما في كتابتها عن موتها المشتهى: جرّة الوقت الفخّارية في الزمن السرديّ تذكرني بجرّة مائها الفخّارية الملفوفة بقماش خشن التي روتني منها مرّات ماء زلالاً. رائحة مخضرمة من نباتاتها المنزلية الأليفة التي تسقيها بينما أقرأ على مسامعها بريدها. أسترق النظر إلى يديها ترتفعان بقربة الماء نحو فم النبتة وأستروق الشمّ أيضاً لأمتلئ برائحة «الروز ماري» التي تطفو على سطح الرواية مثل زهر البرتقال في نافورة بيت دمشقي عتيق. ترتّب حروفها كما تحرص على ترتيب صحونها الفخّارية في الخزانة. كلّ شيء فخار في البيت كما في المتن الروائي يذكّي رائحة الهشاشة البشرية ويذكّر بأسطورة كلسنا الأولى. تجلس ضيوفها من الشخصيات في صدر البيت بعد أن تنزع أحذيتها في مدخله الضيّق. ففي بيتها كما في روايتها، يمشي القرّاء والضيوف حفاة مثل «خطبة الهندي الأحمر».

وفي «خلوة النّقص»، يمكنك أن تعثر على كلمة اليفة في مشافهات عالية اليومية مع الصيدلية ومع الجارة ومع أصدقائها البعيدين في الهاتف: «ها عيني»؟ «اشكرلي» «قدوة لعيونك». تتململ وأنت تقرأ خلوتها ونقصها ما يتلمّظه ضيفها من «حسن ابتدائها» . على حدّ توصيف النقد القديم . في البيت أعني حسن ضيافتها. وفي البيت عندها كما في الرواية، نجلس بندّية مع الموت: ضيفاً مقابل ضيف. لقد علّمتنا عالية أن نحترم خصومنا وأن نكرم مثواهم. وهذه جمالية لا تتحقّق في كلّ نقصٍ ولا ترتمي في أحضان أيّ خلوة.

صهيل الإخفاق وماء البئر

لا تكتب عالية هاهنا بقلم كامل الحبر. ولا تكتب بيد ممتلئة الأصابع. ولا تكتب على ورق رباعي الأركان. ولا على سرير أبيض البياض. ولا تكتب بحروفٍ تامّة. كلّ شيء مبتور. وكان ينبغي أن تتحقّق مقولة البتر حتّى يخرج إلينا النصّ كاملاً. لكلّ نص ثمن. عدّت ممدوح نقائصها كاملةً بأطراف أصابعها المبتورة من برد الكانون القاسي قبل أن يذكّرنا سطر سرديتها الأوّل أنّها قد احتفظت بأمراض عائلتها كلّها. فمن تقاليد عائلتها التي حرصت على وراثتها أنهم يتبعون المرض كما لو كانوا «في مدرسة داخلية».

«خلوة النّقص» هذا عنوان مؤقت في سياق الرحيل الطويل. رحيل يبدأ من خلاصة التراكم الذي لا تخفيه المبثوثة كالعقيق المطرّز غير محاولة لترويض الدهشة التي أصيبت بها عالية باكراً ولم تشخّصها مخابر التحاليل الطبية ولا مخابر البحث السرديّة. لم ير أحدٌ دماء حروفها مصلوبة في باريس ولا مخدّة رأسها «المحشوة بالسنين والإخفاقات».

تغصّ شواهد الحضور الأفل من كتّاب ورهبان وفلاسفة وفيزيائيين وتتصدم «جميع الأسماء الصحيحة والمعتلّة» في فصل روائي. يمشون تحت مسامسها المنخّنة من الحقن والتجريب فلا نشعر . ونحن نقرأ . إلا بدبيبهم على شفاهنا. والكاتبة هي الكاتبة. تئن وتدفن رأسها في خلوة الانكسار ولا يخبو قلمها مع ذلك.

طلبت عالية موتها مراراً إلى بيت الطاعة في هذه الرواية. بيد أنّه عنيد . مثلها . إذ لم ينطع كما أبت هي الطاعة في رواية أخرى. استعدّت له مثل جندي صحصح لم ينل من الرتب العسكرية الكثير، بيد أنّه من أسلاب مريم التي شفع لها الرطب الجنيّ. أحضرت كلّ أدواتها لتستقبله: نمش والدتها وصوت جدّتها وأسماء صديقاتها ودمعتها التي حُفرت على رقبة وفاء قاسم في ثلّاجة الموتى ولهجتها العراقية التي عركتها طويلاً مع توابل البيت مثل حكيم صيني يعدّ ترياقاً سريّاً. وجهّزت بغدادها قرباناً لعنْبيه. قالت: «أستعدّ للحزن هنا بصوتٍ مرتفع»؛ غير أنّ الموت لم يخبّئ ظنّها إذ لم يُستجب. لم يكسر أفق انتظارها المعهود فلم تألف أن يجيء إليها شيء تريده حتّى الموت! لقد رماها بباقةٍ من الألم ومضى هازئاً من مسامير الصلب التي نخرت حبالها الصوتيّة فتهدّج الحرف المتعثّر من أعلى خلوتها تحتي حتى درج نقصانها.

لقوب خمسة في كفّ النبتة وفي راحة رئتها

مثل طفلة صغيرة لا تعرف من الأرقام سوى ما تسعه أصابع يدها، عدّت عالية ثقوب رئتها التي ينبّجس منها النقص مثل ساعة رملية. فوجدتها خمسة محفورة في خدّ نبتتها الأليفة. تتخبّط في الحلم والانقاض وتعترف تحت سيل الأمراض المنهالة عليها أنّها تبحث عن خلوة رحيل، إلى لذّة لا تتحقّق لتعدّ هناك على مهلٍ نقائصها ونقصانها. تجثو في محراب خلوتها وتبتسم لقافلة المسافرين الذين ودّعتهم فكتبتهم: بائع الشاي وآمّها ووفاء قاسم وجدّتها ودموع رولان بارط على أمّه. تفتح ذراعيها مثل راهب متضرّع إلى مرضه. تعترف به ولا يغفل. تتشرّف به وتهديه صرّة هي «كومة عظامها» لينحت وسام انتصاره الأخير وإخفاقها المتوقّع ولا يقنع. لم يرحم المرض نقصانها ولا تركها وشأن كمالها الروائي. جثمَ على سُلطة لغتها ليشاهد كلّ شيء فيها ينتهي في لحظةٍ وهي تخوض مواجهة السؤال الأبدي عن سيرورة هذا الجسد من الأزل إلى الأبد.

لا معنى للأرقام بعد خُمس اليد. تقبض عليها بكلّ جُمعها وبما بقي فيها من قوّة الإنشاد وتحاول أن تستاصل نقصاً لا يُرى في مدينة الإفرنج التي لا تعترف بالموت ولا تحزن على موتاها: «الموت لا يُرى في المدينة المضاءة طوال الوقت» فهل أقسى على كاتبة ثاقبة الملاحظة كثافة الثقوب في رئتها المعتلّة أن تعي أنّها ستنتهي في مدينة تطمس أحزانها؟ «تُرى أين يخبّئ الفرنج أحزانهم؟»

لفيف مقرون بالهزائم

تعود بغداد: تعود في الكتابة وتعود بها. لكنّ صاحبتها لن تعود إليها البتّة. يتصاعد صوتها مبحوحاً «بغداد كجدّتي مريضة دائماً». ودجلة لا تصبّ في نهر آخر سوى عينيّ عالية. عيناها اللّتان تحملان زرقة غير مألوفة لا هي زبد البحر الهائج ولا هي صفاء السّماء المورقة، ولا هي تماماً لون خرير الماء. هذا لون النّقص الذي أصاب مقلتيها منذ أكلت من تفّاح الرافدين. لقد خلا النّقص إلى بؤبؤ عينيها وتكوّر فيهما مثل جنينٍ ميّت حتّى ازرقّا. وها هي اللغة تبدو «وحيدة وموحشة»، إذ تقضم «أوراق أفولها» التي تحاول عالية ترتيبها كلّما صحت من محاليل التخدير في الضاحية الباريسيّة.

ولكنّها رواية تكرّس مفاهيم جديدة للجمالية. إنّها تفلت من الأجناس المعهودة: فلا هي نثر تماماً ولا هي نثر مغتسل بالشعر ولا هي حبكة من الخطوط أو من الخيوط أو هما معاً، ولا هي سُرر مرفوعة ولا نمارق مصفوفة. إنّها جنس ينزّ من المرض والخذلان والانكسار. رواية تتصالح مع فكرة النّقص وترفس الكمال الزائف مثل ناقة حرون. تتناثر حولها المسمّيات مثل ريش الوسائد. تفرّ من النقص وتنتمي إلى لغة التفاصيل. إنّها رواية تجترح لجنسيّتها جرحاً خاصاً وجنساً خاصّاً. نحجّ إلى خلوتها ناقصين لنتبرّك بلامها علّها تذهب عنّا سيّئاتنا. نعرّف أنفسنا فيها قرّاء وحجّاجاً وتبقى هي سرديّة عصيّة، ملكية جمالية للجميع. دعتنا عالية ممدوح في هذا النصّ إلى كلمتها السّواء: «أنا المؤلفة وهذا مرضي الذي لا شفاء منه».

يتصاعد صوتها مبحوحاً «بغداد كجدّتي مريضة دائماً»

لمحات

مخلص الصغير

يُشكل ديوان «الأرض الحمراء» للشاعر المغربي مخلص الصغير، الصادر حديثاً عن «المؤ

مرآة الغرب

بين «مجتمع الاحتراق النفسي» لدى بيونغ-تشول هان و«مجتمع الزومبيز» عند جاك أتالي، تتكشّف صورة الذات المعاصرة بوصفها ذاتاً منهكة، نرجسية، ومقطوعة عن الآخر. في عالم الأداء الدائم والاستعراض الرقمي، تتحوّل الحرية إلى شكلٍ جديد من القهر، فيما تتسع العزلة خلف وهم تحقيق الذات والمتعة والاستهلاك

جاك أتالي
نعيش في «مجتمع الزومبيز»

تغدو «الأنا» المعاصرة مرهقة وهي تسعى بلا انقطاع إلى إنجاز ما تفترضه تحقيقاً للذات

بول مخلوف

يُدفع المرء إلى العمل على ذاته بلا توقف. عليه أن يدخل النادي الرياضي كي يكون «صحّياً»، وأن يتمتّع ببشرةٍ ناعمةٍ ناصعةٍ ليكون جميلاً، وأن يُرفّه عن نفسه ويرتاد النوادي لكي يُحسب في خانة المقبول اجتماعياً. يُرغم المرء على تكبّد جهدٍ قد يصيبه بالإعياء هرباً من النبذ، والإقصاء، وسعياً إلى الانسجام مع الثقافة السائدة آملاً أن تعترف به بعد نزيفه المتواصل.

غير أنّ هذا المسعى المرهق ينتهي عقيماً، إذ غالباً ما يفضي إلى تضخيم الشعور بالوحدة التي يهرب منها، ويجعلها أكثر رسوخاً. لا يتبخّر التعب القسري الذي يصيب الإنسان الحديث ولا يزول. يحفظه الجسد كندوب أو تقرحاتٍ أو جروح. الذات أيضاً لا تُبرأ من التشوّه. الذات تنهمك في تعبها متوّهمة إياه متعةً، وتشيح نظرها عن كل «آخر» فتنغلق على نفسها، ولا تمانع الغرق في بؤسها الخاص بدلاً من الالتفات إلى الآخر كلقاء أو إمكانية خلاص.

الصحافي الفرنسي جاك أتالي يصف هذا المشهد الدراميّ المعاصر، حيث انطفأت شعلة الذات، ودخلت «الأنا» في ما يسمّيه بيونغ تشول هان في بؤرة مجتمع الاحتراق النفسي، بـ«جماليات العزلة».

استمتع!

يمكن تتبّع الجذر النظري للنقد الذي يقدمه جاك أتالي عن الضغوط التي تتعرض لها «الأنا» المعاصرة في مقولة المحلل النفسي جاك لاكان «أمرُ الأنا الأعلى: استمتع!». خلافاً لما رأى سيغموند فرويد في «الأنا الأعلى» بوصفها المستبد المانع، أو السلطة العليا التي تقول «لا» عبر كبح صارم للرغبة، يكشف لاكان عن تحوّلٍ أصاب هذه البنية، إذ أصبحت «الأنا الأعلى» سلطةً قهرية تفرض على صاحبها الاستمتاع لا سيما بما تقدمه لها السوق من إمكاناتٍ واعدة من خلال الاستهلاك.

هكذا، تغدو «الأنا» المعاصرة مرهقَة وهي تسعى بلا انقطاع إلى إنجاز ما تفترضه تحقيقاً للذات، فيما هي تخضع في الواقع لإملاءات السائد الذي يطالبها بالعمل على ذاتها من دون توقف. يصبح مصدر قهرها هو ذاته مصدر لذتها. ومن فرط انكبابها على هذا التلازم بين المتعة والقهر، تتعرّض هذه الأنا للانتفاخ، وتتضخّم الذات من كثرة أدائها وتفقد ثقتها بكل خارج، إذ بها تعتبره مصدر تهديد. يصبح الانغلاق إذاً شرطاً للبقاء، بيد أنّ هذه العزلة، التي تقوم على الانشغال بالذات والغوص السحيق في الأداء، تنتج ما يسميه جاك أتالي «مجتمعاً نرجسياً».

«المجتمع النرجسي»

تفضي جماليات العزلة إذاً إلى خلق مجتمع نرجسي خالص، يصفه جاك أتالي بمجتمع زومبيز. الأفراد هنا لا يفكرون إلا بأنفسهم، فالواحد في مجتمع الزومبي لا ينظر إلا إلى المرآة ولا «يستهلك إلا صورته الخاصة». يتلاشى الآخر إلى حد يصير عدماً، تذهب إلى المقهى، فترى الجميع غارقين في ذواتهم، أو في أفضل الأحوال على شاشات هواتفهم. لا أحد يتكلم مع أحد ولا أحد يريد أن يتعرّف إلى أحد. حتى في الملاهي الليلية، أصبح الناس يرقصون وحدهم وكأنّ الآخر عبء أو كأن حضوره غير ضروري ليكتمل الرقص. وكأن الذات المعاصرة بلا لغة أو أنها فاقدة لها.

إزاء هذا المشهد، يدعو جاك أتالي إلى رفض «جماليات العزلة» هذه، استبدال الإيجاب الدائم بنفي قاطع، إحلال الـ«كلا» بدلاً من الـ«نعم» التي تذعن للرغبة من دون كبح، وتسهّل انزلاق الذات إلى هشيم احتراقها. يقترح أتالي جمالية بديلة قوامها الاهتمام بالنفس، والخروج من الانكفاء النرجسيّ والتورط العلائقي. وهذا يقتضي في المقام الأول، إقامة علاقات صحّية مع الآخرين. هذه الجمالية تتيح لسمات مثل التقبّل، والمسامحة، والاندماج أنّ تحلّ محلّ الإقصاء والإكراه والطرد، تلك الآليات التي تتوهم الذات أنها تهرب منها فيما هي في الواقع تعيد إنتاجها على نحو آخر.

مجتمع الاحتراق النفسي

يلتقي جاك أتالي وبيونغ-تشول هان في تشخيصهما لأزمة الذات المعاصرة، وإن اختلفت زاوية المقاربة. بينما يركّز هان على اختفاء السلبية (أي الآخر)، والاحتكاك مع الخارج، والإفراط في منطق الأداء داخل مجتمع يُنتج احتراقاً نفسياً لأفراده، يصف أتالي النتائج الاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع، واصفًا إيّاه بـ«المجتمع النرجسي»، وداعيًا، بنبرةٍ أخلاقية واضحة، إلى الانزياح عنه والتحرّر من جماليّاته.

وقد نبّه بيونغ-تشول هان، في كتابه «مجتمع الاحتراق النفسي»، إلى أنّ الذات المعاصرة تعاني من ورم نرجسيّ مزمن، وأنها تخفي نقيض ما تُظهره؛ فهي ذات هشّة، ضعيفة ومهزوزة، لكنها في الوقت نفسه عنيفة، تمارس على نفسها أشدّ أشكال القهر، باسم الحرية، والإنجاز، وتحقيق الذات.

هكذا، لا يبدو الخروج من «المجتمع النرجسي» مسألةً فرديةً بقدر ما هو تحوّل في الحسّ والعلاقة. في عالم تُختزل التجربة في صورة، ويُستبدل اللقاء بالإعجاب السريع، وحيث بات رأس المال هو عدد المتابعين وكمية المعجبين، تغدو الذات أكثر حضوراً لكن أشدّ وحدةً في آن. إنّ استعادة الآخر، بما يحمله من مقاومة واختلاف هو شرط النجاة. وحده التباطؤ، والقدرة على قول «لا»، والانفتاح على ما يربك الأداء ويكسره، قد يتيح للذات أن تخرج من احتراقها وأن تستعيد ما تبقى لها من إنسانيتها.